

# البوصيري

شاهد على العصر المملوكي

الأستاذ الدكتور

نبيل خالد أبو علي

الطبعة الرابعة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الطبعة الرابعة  
دار المقداد للطباعة  
غزة - م. الشاطئ ت ٢٨٢١٣٥٨







## أما قبل :

يحاول هذا البحث توجيه عناية الدارسين إلى العصر المظلوم ، الذي لفه الغموض وأصابته يد المؤامرة ، فاتهم أدبه بالضعف والانحدار ، بالرغم من أهمية الدور الذي قام به الشعراء والأدباء ، سواء على صعيد حفز الهمم وتوحيد الأمة التصدي للصليبيين وحملاتهم ، والتثار وزحفهم الهمجي المدمر على البلاد الإسلامية ، أو على صعيد تعزيز صمود الجبهة الداخلية ، وتحريض الحكام على تخليصها من الفاسدين ، الذين يتسلطون على رقاب الناس وأقواتهم .

ولما كانت البيئة الإسلامية اليوم تعيش ظروفًا مشابهة لتلك الظروف التي عاشها العالم الإسلامي في العصرين الأيوبي والمملوكي ، حيث نرى تكالب أعداء الأمة الإسلامية من الصهاينة والصليبيين الجدد على البلاد الإسلامية ، كما يتكالب المتسلقون والمتطفلون على أقوات الناس وأموالهم ..

لذلك فإن دراسة ديوان البوصيري تهدف أولاً إلى التنبيه على مستوى الشعر آنذاك ، ثم التعرف على أسلوب تعامل البوصيري مع المؤثرات الخارجية ، والعوامل الداخلية التي خضع لها مجتمعه ، وتبين أثر تلك العوامل على أغراض شعره ومعانيه ، حيث رأينا معظم شعره يتوزع بين المدائح

النبوية والنقد الاجتماعي ، ورأيناه شديد الحرص على سلامة  
الجهة الداخلية .. وأخيراً التعرف على نهجه في بناء قصيدة  
المدح النبوي ، واستعراض تجربته ، والتعرف على ألوان  
شعره التي لم يشتهر منها إلا شعر المدائح النبوية .



## تعريف<sup>(١)</sup>:

هو أبو عبد الله ، شرف الدين ، محمد ابن سعيد بن حماد <sup>له</sup> وهو مغربي الأصل حيث يعود نسبه إلى قبيلة صنهاجة المغربية ولد في "دلاص" في أول شوال سنة ثمان وستمائة هجرية ، ونشأ في "بوصير"<sup>(٢)</sup> وتلقى علومه الأولى فيها ، ثم ارتحل إلى القاهرة وفيها بدأ رحلته العلمية ، حيث درس العلوم الدينية والتاريخ الإسلامي ، وبعض العلوم العربية كالآداب والنحو والصرف والعروض ، كذلك أخذ التصوف عن أبي ابراهيم العباس المرسي ، ورغم العلاقة المتينة التي ربطته بشيخه

---

(١) راجع : - الكتبي ، محمد بن أحمد (ت ٤٦٧هـ / ١٣٦٢م) : فوات

الوفيات، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٣هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٩م) :

حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبي ،

القاهرة ١٣٠١هـ ، مج ٢ ، ص ١٧٥ .

- ابن العماد ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م) :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، طبعة القاهرة ١٣٥١هـ ، مج ٢ ،

ص ٤٣٢ .

(٢) دلاص وبوصير من قرى بني سويف بمصر ، وكان أبوه من بوصير ،

وأمه من دلاص ، وقد نحت الشاعر من اللفظتين لقباً له ، الدلاصيري ،

ولكنه اشتهر بلقب البوصيري .



المرسي ، وتشربه لتعاليم الصوفية التي بدا أثرها واضحا جليا  
في شعره إلا أنه لم يقوَ على متطلبات التصوف ، وقد اعتذر  
عن ذلك بقوله (١) :

أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيْبًا وَهُوَ حَرْبٌ

لَسْتُ فِيهِ ، وَلَا مِنْ النَّظَّارِ

وقد برر عدم تمكنه من القيام بواجبات التصوف بالفقر  
وكثرة العيال ، حيث قال (٢) :

أَثْقَلْتُ ظَهْرِي الْعِيَالُ وَقَدْ كُنْتُ

بِتُزْمَانَا بِهِمْ خَفِيفُ الْكَارِ (٣)

وَلَوْ أَنِّي وَحْدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا

فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَغَارِ

كذلك ألم البوصيري بمبادئ الحساب ، وتزود بثقافة

كاتب الديوان ، وقد باهى بإنجازه للأعمال الحسابية ، حيث  
قال (٤) :

---

(١) البوصيري (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) : الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني

ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٣ م ، ص ١٣٣ .

(٢) الديوان ، ص ١٣٣ .

(٣) خفيف الكاره : خفيف الحمل .

(٤) الديوان ، ص ١٠١ .



إِنِّي امْرُءٌ حَرَفَتِي الْحِسَابُ فَلَا

يَدْخُلُ رَيْبٌ عَلَيَّ فِي حِسْبِهِ

كذلك درس البوصيري الإنجيل والتوراة ، كما درس تاريخ ظهور المسيحية وما أَلَّفَه النصارى واليهود من كتب في شرح الديانتين والانتصار لهما ، وقد مكنه ذلك من التصدي لمزاعم اليهود والنصارى وأباطيلهم ، حيث استلهم في مجادلته لهم بعض نصوص التوراة والإنجيل ، وأقام الحجج المنطقية والتاريخية على بطلان ما ذهبوا إليه ، وتعد قصيدته "المخرج والمردود على النصارى واليهود" وتعليقه عليها ، خير شاهد على ذلك ، وهي قصيدة مفرطة الطول ، يقول في مطلعها (١)

جَاءَ الْمَسِيحُ مِنَ الْإِلَهِ رَسُولًا

فَأَبَى أَقْلُ الْعَالَمِينَ عُقُولًا

قَوْمٌ رَأَوْا بَشَرًا كَرِيمًا فَادَّعَوْا

مِنْ جَهْلِهِمْ لِلَّهِ فِيهِ حُجُولًا

وَعِصَابَةٌ مَا صَدَّقْتَهُ وَأَكْثَرَتْ

بِالْإِفْكَ وَالْبُهْتَانِ فِيهِ الْقِيَلَا

لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَفْرُطٌ وَمُفَرِّطٌ

بِالْحَقِّ تَجْرِيحًا وَلَا تَعْدِيلًا

(١) الديوان ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .



فَكَأَنَّمَا جَاءَ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ  
لِيَكْذِبُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
فَاعْجَبْ لَأُمَّتِهِ الَّتِي قَدْ صَيَّرَتْ  
تَنْزِيهَهَا لِإِلَهٍهَا التَّنْكِيلَ

ورغم فقر البوصيري وكثرة عياله فإنه لم يقبل  
وظيفة لا يتقنها ، ولا يستطيع القيام بواجباتها ، حيث عرض  
عليه أن يكون محتسب القاهرة ، إلا أنه اعتذر عن هذه الوظيفة  
بقوله (١) :

لَا تَظْلِمُونِي وَتَظْلِمُوا الْحِسْبَةَ  
فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا نَسَبَةٌ  
غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ دَرْبٌ  
وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي دَرْبُهُ

وعلى صعيد الوظائف الحكومية فإن البوصيري لم  
يستطع الحصول على وظيفة مرموقة ، حيث لم يحظ بأكثر من  
وظيفة كاتب في ديوان بلبيس ، لذلك لم يلبث البوصيري أن  
ترك تلك الوظيفة التي لم تف بمطالبات الحياة الكريمة له  
ولأفراد أسرته ، وعاد إلى القاهرة وفتح كتاباً لتحفيظ القرآن ،  
وعمل في مهنة التدريس التي أحب أن يزاولها فترة ، ولكن

---

(١) الديوان ، ص ٩٩ .



ضيق الرزق وقلة الربح جعله يغلق الكتاب ويتفرغ للبحث عن  
الرزق على أبواب الميسورين والأمرء ، وقد صور تجربته في  
تعليم الصبية بقوله (١) :

مَا زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ مُعَلِّمًا

فَيَكُونَ فَضْلِي مَكْمَلِ الْإِعْلَامِ

قَدْ صَارَ كِتَابِي وَبَيْتِي مِنْ بَنِي

غَيْرِي وَأَبْنَائِي كَبُرَ جَحَامِ

أَعْطَيْتُهُمْ عَقْلِي وَأَخَذُوا عَقْلَهُمْ

فَأَبَيْعُ نُورِي مِنْهُمْ بِظُلَامِ

والبوصيري كغيره من شعراء عصره ، عانى من

الصراف الأمرء والميسورين عن الشعر ، وبخلهم على

الشعراء ، وقد صور بخل الممدوحين في أكثر من قصيدة ، من

ذلك قوله (٢) :

لَا تَكُنِّي إِلَيَّ سِوَاكَ فَأَخِيَا

رُزْمَانِي لَا يَمْنَحُونِ خِيَارَهُ

وَوُجُوهُ الْقَصَادِ فِيهِ حَدِيدٌ

وَقُلُوبُ الْأَجْوَادِ فِيهِ حِجَارُهُ

---

(١) الديوان ، ص ٢٥٤ .

(٢) الديوان ، ص ١٣٣ .



ويبدو أنه يأس من ممدوحيه ، حيث لا جدوى من كثرة

سؤاله لهم ، فاضطر إلى القول (١) :

وَالشَّعْرُ مِيزَانُهُ أَقْوَمُ مِنْهُ  
لا غناء ولا شعر

وَلَيْسَ تَنْقَامُ مِنْهُ لِي حَدْبَهُ

فَبَاتَنِي لَا أَرَى الْمَدِيحَ بِهِ

لِلْمَالِ بَلْ لِلْوَدَادِ وَالصَّحْبَةِ

وَالشَّعْرُ عِنْدِي أَخُو الْعَدَالَةِ لَا أَحَدٌ

سَبَّ أَقْوَالَهُ وَلَا كَسَبَهُ

إنه لم يحقق بشعره منصبا ولا جاها ، بل عاش حياته

يعاني شظف العيش وقلة الرزق ، وعدم المقدرة على تحمل

تبعات أسرة كبيرة وامرأة ولود ، وتكاد لا تخلو مدحة من

مدائحه من الحديث عن سوء حاله ، وما يعانيه من امرأته التي

أثقلت كاهله بكثرة إنجابها ، من ذلك قوله (٢) :

إِنْ زُرْتُهَا فِي الْعَمِ يَوْمًا أَنْتَجَتْ

وَأَتَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ بَغْلَامَ

أَوْ هَذِهِ الْأَوْلَادُ جَاعَتُ كُلُّهَا

مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالْقَوَامِ

(١) الديوان ، ص ١٠١ .

(٢) الديوان ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .



وَأَظُنُّ أَنَّهُمْ لِعِظْمِ بَلِيَّتِي

حَمَلَتْ بِهِمْ لَا شَكَّ فِي الْأَحْلَامِ

أَوْكَلَّ مَا حَمَلَتْ بِهِ حَمَلَتْ بِهِ

مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ نِيَامِ

يَالَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا آيسًا

أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَامِ<sup>الخدم</sup>

كَيْفَ الْخُلَاصُ مِنَ الْبَتِّينَ وَمِنْهُمْ

قَوْمٌ وَرَايَ وَآخَرُونَ أُمَامِي

لَمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ الْمُقِيمُ بِأَهْلِهِ

فَشَكُّوا عَنَّا بُعْدِي وَفَقْرَ مَقَامِي

فَارَقَتْهُمْ طَلَبًا لِرِزْقِهِمْ فَلَا

صَرْفِي يَسُرُّهُمْ وَلَا اسْتِخْدَامِي

مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْعِيَالِ فَإِنَّهُ

بَعْلُ الْأَرَامِلِ أَوْ أَبُو الْأَيْتَامِ

أَصْبَحْتُ مِنْ حَمَلِي هُمُومُهُمْ عَلَى

هَرَمِي<sup>كبر السن</sup> كَأَنِّي حَامِلُ الْأَهْرَامِ

هكذا كانت حياة البوصيري رحلة صراع مع الفقر  
والحرمان ، تلك الرحلة التي انتهت بموته سنة خمس وتسعين  
وستمئة هجرية<sup>(١)</sup> .

---

(١) انفرد الدكتور أحمد بدوي بقوله : "ودفن بالإسكندرية حيث قبره بها مشهور  
يُزار" ، مع أن الذين تحدثوا عن حياة البوصيري قالوا إنه توفي بالمارستان  
المنصوري بالقاهرة ، وأنه دفن بناحية الإمام الشافعي ، أما الثابت فهو  
تردد البوصيري على الإسكندرية لزيارة شيخه أبي العباس المرسى .  
- أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ط ١ ، الثانية ،  
دار نهضة مصر ، ص ٢٩٦ .



## شاعرية البوصيري

### المدائيم النبوية :

اقترن اسم البوصيري بفن المدائيم النبوية ، فهو فارس هذه الحلبة الذي لا يناع ، وهو أستاذ هذا الفن الذي يُحتذى حذوه ، بالرغم من تأخر عصره ، وكثرة سابقه ، وبردته هي الأنموذج الذي احتذاه الشعراء بعده ، رغم سبق بردة كعب لها بمنات السنين<sup>(١)</sup> ، فعلى بردته عكف الدارسون والشعراء بالشرح والتحليل ، واستلهم معانيها وألفاظها بالتضمن والتشطير والتخميس والمعارضة...<sup>(٢)</sup> ، وإذا كنا نزع أن

---

(١) إن البردة حقيقة هي لامية كعب بن زهير ، وتقع في ثمانية وخمسين بيتا ، ومطلعها : **بَانَتْ سَعَادُ فِقْلَبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَقْدَ مَكْبُولُ** وقد حظيت باهتمام المسلمين لأنها أُلقيت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ونالت إعجابه حيث خلع على كعب بردته ومن ثم سميت هذه القصيدة باسم البردة ، وقد حظيت باهتمام بعض الدارسين والشرح والشعراء ، ولكن ليس بالقدر الذي حظيت به بردة البوصيري .

(٢) كثيرون هم الذين اهتموا بشرح بردة البوصيري ، وقد ذكر زكي مبارك أكثر من عشرين شارحا ، كذلك ذكر الكثير من أمثلة التضمن والتشطير والتخميس والتسبيح والتعشير والمعارضة ، ومن تلك المعارضات نشير إلى اثنتين من العصر الحديث ، الأولى للشاعر محمود سامي البارودي



قصيدة البردة<sup>(١)</sup> هي أشهر شعره<sup>(٢)</sup> ، فإننا نزع أيضاً أنها من أهم عوامل اشتهار البوصيري نفسه ، وذلك لأنه إلى جانب جودتها الفنية قد حيكت حولها الكثير من القصص والروايات التي رفعتها أحياناً إلى درجة من درجات التقديس ، فالبعض يضع لقراءتها شروطاً لم توضع لغيرها من كلام البشر من

---

وسُميت "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" ، وهي تقع في أربعمئة وسبعة وأربعين بيتاً ، ومطلعها :

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمْ دَارَةَ الْعَلَمِ      وَاحِدَ الْغَمَامِ إِلَى حَيِّ بَذِي سَلَمِ  
والقصيدة الثانية لأحمد شوقي وهي المسماة "تهج البردة" وتقع في مائة وتسعين بيتاً مطلعها :

رَبِّمْ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ      حَلَّ سَفَاكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ  
- انظر: مبارك ، زكي : المدائح النبوية في الأدب العربي ، طبعة دار الشعب، مصر ، ١٩٧١م ، ص ٢١٥ - ٢٢٦ .

(١) وتسمى أيضاً "البراءة" ، وذلك لأن البوصيري قد برئ بها من الفالج الذي أبطل نصف جسمه ، وسميت أيضاً قصيدة الشدائد ، حيث زعموا أيضاً أن قراءتها تُفَرِّجُ الشدائد ، وتُسَرُّ كل أمر عسير ، وسمّاها البوصيري : "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" . راجع : الديوان ، ص ٢٩٠ .

(٢) وقد تُرجمت إلى عدة لغات ، من ذلك الانجليزية والفرنسية والألمانية ، كما طُبعت عشرات المرات ، طُبعت في فينا ، والآستانة ، ومكة ، وبمبائ ، وفي القاهرة نحو خمسين مرة .. وهي تطلب بالألوف ، وفي دار الكتب المصرية نسخ من البردة حُلّيت كتابتها بالذهب . - المدائح النبوية ، ص ٢١٦ .



ذلك: الوضوء ، واستقبال القبلة ، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها ، وأن يكون القارئ عالماً بمعانيها ... ، و ببعض أبياتها يُشفى الناس من العُلل والأمراض التي أَلَمَّت بهم ، وبحفظ أبياتها وإنشادها صباحاً ومساءً يتقرب الناس من المصطفى صلى الله عليه وسلم ويروونه في المنام ، إلى غير ذلك من اعتقاد الناس بهذه القصيدة<sup>(١)</sup> .

بدأ البوصيري بردته بالنسيب سيرا على عمود القصيدة العربية ، ومع ذلك فقد استطاع المواءمة بين المقدمة الغزلية والموضوع ، فبينما يحدثنا عن شدة الشوق ولوعة الوجد ، فإنه لا يتركنا نذهب بخيالنا بعيداً عن غرضه ، فأطلال المحبوبة هي من قبل ديار الممدوح ، والريح التي تحمل شذا المحبوبة هي الريح التي تعطرت بشذا الممدوح ، وميض البرق الذي هدى الشاعر لديار المحبوبة هو الوميض الذي كشف الغمة وأُناَر طريق الهداية للبشر أجمعين ، لأنه ينبعث من الموطن الذي شهد ميلاد الممدوح .

وفي خضم ذلك قد تتداخل المشاعر ، ويصعب التفريق بين جدية حديث الصبابة والهوى بمفهومه المادي ، والحديث

---

(١) النظر : الديوان ، ص ٢٩ - ٣٠ ، ٢٨٦ - ٢٨٧ . والمدائح النبوية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .



عن خوالج نفسه إزاء الأماكن التي شهدت ميلاد ممدوحه ،  
وذلك في قوله (١) : <sup>تفرد به</sup>

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بَذِي سَلَمٍ

مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةِ بَدَمٍ (٢)

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ

وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهُم <sup>بِزِيَارَتِهِ</sup>

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ

مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ (٣)

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ

وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ (٤)

فَكَيْفَ تُتَكَّرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ <sup>هتفت</sup>

(١) الديوان ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) ذو سلم : موقع بالحجاز <sup>من</sup> الحرم النبوي .

(٣) المنسجم صفة الدمع السائل . والمضطرم صفة القلب المشتعل بالحب .

(٤) البان : جمع بانة ، وهو ضرب من الشجر . العلم : جبل فرد شرقي

الحاجر يقال له أبان ، فيه نخل وفيه واد .



وَأَثَبْتُ الْوَجْدَ خَطِيءَ عِبْرَةٍ وَضَنِيءٍ  
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ<sup>(١)</sup>

نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِّنْ أَهْوَى فَأَرْقَتِي

وَالْحُبُّ يَغْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

يَا لَأَمِي فِي الْهَوَى الْعَذْرَى مَعْدَرَةً

مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ

عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتَرٍ

عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْخَسِمِ<sup>(٢)</sup>

مَحْضَتِّي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْغَدَالِ فِي صَمَمِ<sup>(٣)</sup>

نعم إن الشاعر لا يترك لمشاعرنا العنان لكي تعيش  
التجربة الغزلية التي اكتملت عناصرها في هذه الأبيات ، حيث  
يقطع علينا الطريق بقوله<sup>(٤)</sup> :

(١) البهار : ورد أصفر - العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها  
البنان المخضوبة .

(٢) عدتك : تجاوزتك . منسجم : منقطع .

(٣) محضتتي النصيح : أخلصته .

(٤) انظر بقية الأبيات حتى قوله :

وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصْنَمْ

- الديوان ، ص ٢٤٠ .



إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذْلِ  
 وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ اتِّهَمِ  
 فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ  
 مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى  
 ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ  
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ  
 كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ<sup>(٢)</sup>  
 مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايِئِهَا  
 كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ  
 فَلَا تَرُمُ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا  
 إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ<sup>(٣)</sup>  
 وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهَمَّلَهُ شَبَّ عَلَى  
 حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمِ

(١) الأمانة بالسوء هي النفس .

(٢) في البيت جناس ناقص بين : كتمت وبالكتم ، والأولى بمعنى أخفى ،  
والثانية اسم نبات يخضب به كالحناء .

(٣) يجرى هذا البيت والذي يليه مجرى الأمثال ، ومثل هذه المعاني الجيدة  
كثير في شعره .



فالشاعر نظم برديته وهو في خريف العمر ، ومع هذه  
السن المتأخرة تنتفي جميع الصبوات الحسية ، ويتأكد لنا أنه ما  
تحدث إلا عن شوقه لديار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما  
تبعته في نفسه من لوعة قلبية صادقة نحو المصطفى ، لذلك  
رأيناه يحذر من إتباع النفس وهواها قبل أن ينتقل للحديث عن  
أخلاق النبي ويمتدح صفاته صلى الله عليه وسلم ، بمثل

قوله (١) *كتاب أبي هريرة* *يعلم من هذا* *كتاب أبي هريرة*  
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

أَنْ اشْتَكَيْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّاءَ مِنْ وَرَمٍ  
وَشَدٍّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى *كتاب أبي هريرة*  
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتَرْفًا الْأَدَمَ *الحجارة*  
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ ذَهَبٍ *كتاب أبي هريرة*

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ *كتاب أبي هريرة*  
وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ *كتاب أبي هريرة*  
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ *كتاب أبي هريرة*  
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ

لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

(١) الديوان ، ص ٢٤٠ .



وبعد ذلك يستغرق البوصيري في مدح المصطفى صلى  
الله عليه وسلم ، وتتوارد الصور الشعرية الرائعة التي تبين  
بعض صفاته صلى الله عليه وسلم تباعا ، من ذلك قوله (١) :

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ

حَدٌّ فَيُغْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ  
لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرَهُ آيَاتُهُ عَظَمًا

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ  
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَغْيَا الْعُقُولُ بِهِ  
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهَمْ (٢)  
أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يَرَى

فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مَنْفَحِمِ (٣)  
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ  
صَغِيرَةً وَتَكُلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ (٤)  
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ  
قَوْمٌ نِيَامَ تَسْلَوُا عَنْهُ بِالْحُطَمِ

(١) الديوان ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) لم نهم : لم نضل .

(٣) المنفحم : الساكت عجزاً في المناظرة .

(٤) تكل : تتعب . أمم : قرب . وفي البيت طباق بين كلمتي بعد وأمم .



فمبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ <sup>سأكيد اسم جميع أهل طائفة</sup> <sup>سأكيد اسم جميع أهل طائفة</sup>

وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

وَكُلُّ آيٍ آتَى الرَّسُلَ الْكَرَامُ بِهَا <sup>سأكيد اسم جميع أهل طائفة</sup>

فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ <sup>سأكيد اسم جميع أهل طائفة</sup>

وفي معرض حديثه عن المولد النبوي الشريف ، يذكر  
البوصيري الكثير من المعجزات التي واكبت ذلك المولد ،  
كانصداع إيوان كسرى ، وخمود نار الفرس ، وجفاف ماء  
بحيرة ساوة ، وانقضاض الشهب من السماء على الأصنام  
وتدميرها ، وغير ذلك مما نراه في مثل قوله (١) :

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ

يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمٍ

يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفَرَسُ أَنَّهُمْ

قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ

وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدَعٌ

كَشَمَلٍ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِ

وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ <sup>النهر جفت غشا</sup>

عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ (٢)

(١) الديوان ، ص ٢٤٢ .

(٢) ساهي : ساكن . السدم : الحزن .



وساء ساوة أن غاضت بحيرتها

ورد وأردها بالغيط حين ظمي<sup>(١)</sup>

كان بالنار ما بالماء من بكل

حزنا وبالماء ما بالنار من ضرر

والجن تهتف والأوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

عموا وصموا فإعلان البشائر لم

تسمع وبارقة الإنذار لم تشم<sup>(٢)</sup>

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم

بأن دينهم المعوج لم يقم

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب

منقضة وفق ما في الأرض من صنم

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم<sup>الاستسلام</sup>

من الشياطين يققو أثر منهزم

ويسترسل البوصيري في عرض ألوان المعجزات التي

واكبت الدعوة المحمدية ، كقدوم الأشجار وسجودها بين يدي

(١) ساوة : مدينة في بلاد فارس بين همدان والري .

(٢) تشم : تنظر .



المصطفى<sup>(١)</sup> ، وسير الغمامة فوق رأسه صلى الله عليه وسلم  
لتقيه حرَّ الشمس ، وما صنع الحمام والعنكبوت على باب غار  
حراء ، وما في الإسراء والمعراج من أوجه الإعجاز .. ثم  
ينتقل للحديث عن الجهاد ، فيسهب في وصف البطولات  
الإسلامية ، وفي ختام برده يعود البوصيري للتأكيد على  
معجزة القرآن الكريم ، وتوضيح بعض جوانبها ، ثم يبين سبب  
نظم قصيدته وهو التقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ليحظى بشفاعته ، من ذلك قوله<sup>(٢)</sup> : <sup>سأشعر بشفاعة البوصيري</sup>

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدمِ <sup>سأشعر بشفاعة البوصيري</sup>

إِذْ قَلَّدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ

كَأَنِّي بِهِمَا هَدَى مِنَ النِّعَمِ<sup>(٣)</sup>

أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا <sup>الهدى بغير</sup>

حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ

(١) ومثل هذه المعجزات التي ذكرها البوصيري - والتي هي في ظني مستقاة  
من قصص الوعاظ والمتصوفة في عصره - تعوزها الدقة ويحتاج بعضها  
إلى التحقيق والتصويب خاصة إذا صرفت عن معناها المجازي الذي هو  
أقرب إلى لغة الشعر .

(٢) الديوان ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) الهدى : ما يهدي إلى الحرم ليذبح .



لَهَا خَسَارَةٌ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا  
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمُ  
وَمَنْ يَبِيعْ أَجَلًا مِنْهُ بِعَاجِلِهِ

يَبِينَ لَهُ الْغَيْبُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَامٍ (١)

*طلب انتقامه* إِنَّ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقُضٍ *طلب انتقامه*

مَنْ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمَنْصَرَمِ

فَإِنَّ لِي ذِمَّةَ مَنْهُ بِتَسْمِيَّتِي

مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالنِّدَمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا بِيَدِي

فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

حاشاهُ أَنْ يَحْرَمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ

وَمِنْذُ الزَّمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحُهُ

وَجَدْتُهُ لَخْلَاصِي خَيْر مَّا تَزِمُ

وما دمنا في معرض الحديث عن المدائح النبوية في  
شعر البوصيري ، فإنه لا ينبغي أن تشغلنا شهرة برده عن  
ذكر غيرها من القصائد ، وخاصة أنها تشكل الجزء الأكبر من  
ديوانه ، ومن تلك القصائد نذكر أولاً قصيدته التي عارض بها

(<sup>1</sup>) السلم في البيع هو البيع المؤجل الدفع .



لامية كعب بن زهير ، والتي سماها "ذخر المعاد ، في وزن بانة سعاد" (١) ، وقد بدأها بالوعظ والإرشاد ، ونهى النفس عن اتباع الهوى ، وحثها على تعجيل التوبة والرجوع إلى الله تعالى وذكرها بقصر رحلتها الدنيوية ، وبين سوء عاقبة الوثنيين ، وعبد العجل ، والنصارى الذين ادعوا ألوهية المسيح ... ، ثم انتقل للحديث عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي أثناء مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم ، تحدث عن الآيات والمعجزات التي واكبت مولده ، والتي سبق ذكرها في البردة كخمود نار فارس ، وانهزام الشياطين وتحطم الأصنام ... ، وتحدث بعد ذلك عن الجهاد والبطولات الإسلامية ، وانتهى بإظهار شدة شوقه لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ومما جاء فيها عن المولد النبوي نذكر قوله (٢) :

---

(١) وسماها أيضا "ذخر المعاد في معارضة بانة سعاد ، وهي قصيدة طويلة تبلغ أبياتها ٢٠٤ أبيات ، وخالف فيها نهج "كعب" حيث تخلى عن المقدمة الغزلية وبدأها بالوعظ والإرشاد ، ومطلعها :

إلى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مستول

- انظر القصيدة في الديوان ، ص ٢٢٠ .

(٢) الديوان ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .



كم آية ظَهَرَتْ فِي حِينِ مَوْلِدِهِ  
 بِهِ الْبَشَائِرُ مِنْهَا وَالتَّهَاوِيلُ<sup>(١)</sup>  
 غُلُومٌ غَيْبٍ فَلَا الْأَرْصَادُ حَاكِمَةً  
 وَلَا التَّقَاوِيمُ فِيهَا وَالتَّحَاوِيلُ<sup>(٢)</sup>  
 إِذِ الْهَوَاتِفُ وَالْأَنْوَارُ شَاهِدُهَا  
 لَدَى الْمَسَامِعِ وَالْأَبْصَارِ مَقْبُولُ<sup>(٣)</sup>  
 وَنَارُ فَارِسٍ أَضْحَتْ وَهِيَ خَامِدَةٌ  
 وَتَهْزُهُمْ جَامِدٌ وَالصَّرْحُ مَثْلُولُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمُذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعُثُهُ  
 وَدَهَى الشَّيَاطِينَ وَالْأَصْنَامَ تَجْدِيلُ<sup>(٥)</sup>  
 وَانْظُرْ سَمَاءً غَدَتْ مَمْلُوءَةً حَرَسًا  
 كَأَنَّهَا الْبَيْتُ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ

(١) فِي الْبَيْتِ تَوْرِيَّةٌ ، فَكَلِمَةُ تَهَاوِيلٍ مِنْ الْهَوْلِ أَيْ الْخَوْفِ ، وَالتَّهَاوِيلُ : هِيَ الزِينَةُ النَّاتِجَةُ عَنِ النُّقُوشِ الْمَلُونَةِ .

(٢) الْأَرْصَادُ : مَا يَسْتَعْمَلُ لِرِصْدِ الْكَوَاكِبِ وَالتَّقَاوِيمِ وَالتَّحَاوِيلِ : مَنْ اِصْطِلَاحَاتِ الْمُنَجِّمِينَ ، لِلإِطْلَاعِ عَلَى الْمَغِيبَاتِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ .

(٣) الْهَوَاتِفُ : جَمْعُ هَاتِفٍ ، وَهُوَ مَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا يَرَى شَخْصَهُ .

(٤) الصَّرْحُ : الْقَصْرُ ، وَهُوَ إِيْوَانُ كَسْرَى - وَمَثْلُولٌ : مَهْدُومٌ .

(٥) جَدَلُهُ تَجْدِيلًا : أَلْقَاهُ عَلَى الْجِدَالَةِ مَصْرُوعًا ، وَهِيَ الْأَرْضُ .



فَرَدَّتِ الْجِنَّ عَنْ سَمْعِ مَلَائِكَةٍ  
 إِذْ رَدَّتِ الْبَشَرَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ<sup>(١)</sup>  
 كُلُّ غَدَا وَكَلْهُ مِنْ جِنْسِهِ رَصَدٌ  
 لِلْجِنَّ شُهْبٌ وَلِلْإِنْسَانِ سِجِيلٌ  
 لَوْلَا نَبِيُّ الْهُدَى مَا كَانَ فِي فَلكِ  
 عَلَى الشَّيَاطِينِ لِلْأَمْلاكِ تَوَكِيلٌ  
 لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كُلُّ مُسْتَرْقٍ  
 عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ مِنْهَا وَهُوَ مَعْرُوفٌ<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ رُمِيتَ أَكْبَرُ آيَاتٍ وَأَكْمَلُهَا  
 كِفَاكَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلٌ  
 وَانْظُرْ فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ  
 وَلَا كَقَوْلٍ أَتَى مِنْ عِنْدِهِ قِيلٌ  
 وَلِلْبُوصِيرِى عِدَّةُ مَدَائِحِ نَبْوِيَّةٍ تَصُورُ اسْتِعْدَادَهُ لِلْحَجِّ ،  
 وَوَقُوفَهُ أَمَامَ ضَرْيَحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ عَوْدَتَهُ مِنَ  
 الْأَرَاضِي الْحِجَازِيَّةِ . فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ قَالَ قَصِيدَةً  
 مَطْلَعُهَا<sup>(٣)</sup> :

(١) الْأَبَابِيلُ : الْجَمَاعَاتُ ، وَهِيَ جَمْعٌ لَا مُفْرَدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .

(٢) تَوَلَّتْ : اسْتَوَلَّتْ - تَوَلَّى : فَرَّ ، وَهِيَ جِنَاسٌ نَاقِصٌ .

(٣) الدِّيْوَانُ ، ص ٢٥٧ .

سَارَتِ الْعِيسُ يُرْجَعْنَ الْحَنِينَا

وَيَجَانِبْنَ مِنَ الشَّقْوِ الْبُرِينَا<sup>(١)</sup>

وأمام ضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم قال مدحته

التي مطلعها<sup>(٢)</sup> :

وَأَفَاكَ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ الْمُذْنِبُ

خَجَلًا يُعَفِّفُ نَفْسَهُ وَيُؤْنِبُ

وفي الأراضى الحجازية مدح النبي صلى الله عليه وسلم

بقصيدة مطلعها<sup>(٣)</sup> :

لَا بِمَدْحِ الْمُصْطَفَى تَحْيَا الْقُلُوبُ

وَتُغْفَرُ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبُ

ولما هم بالعودة من الأراضى الحجازية قال قصيدته

التي مطلعها<sup>(٤)</sup> :

أَزْمَعُوا الْبَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكَابَا

فَاطْلُبِ الصَّبْرَ وَخَلِ الْعِتَابَا

---

(١) البرين : جمع برة ، وهى حلقة توضع في أنف البعير ، ويشد بها الزمام .

(٢) الديوان ، ص ٨٩ .

(٣) الديوان ، ص ٨٣ .

(٤) الديوان ، ص ٧٧ .



أما قصيدته المشهورة فقد قالها بعد عودته من الحج ،  
وسماها "أم القرى" ، في مدح خير الورى " ، وهي قصيدة طويلة  
جداً (١) ، بدأها بمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال (٢) :  
مَكِّيْفَ تَرْقَى رُقْيَاكَ الْأَنْبِيَاءُ  
يَا سَمَاءَ مَا طَوَّلَتْهَا سَمَاءُ  
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عِلَّاكَ وَقَدْ حَا  
لَ سَنَا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ (٣)  
إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ  
سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ (٤)  
أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْنُ  
دُرُ إِلَّا عَنِ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ

---

(١) بلغت مدحته ستين وأربعمئة بيتاً ، وقد ظفرت باهتمام الدارسين والشرّاح  
والشعراء ، وممن عارضها من الشعراء نذكر أحمد شوقي ، الذي عارضها  
في قصيدته التي مطلعها :

وَلَدَ الْهَدَى ، فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ      وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

راجع : ديوان أحمد شوقي : "الهمزية النبوية" ، طبعة دار الكتاب العربي ،  
بيروت ، ٣٤/١ - ٤١ .

(٢) الديوان ، ص ٤٩ .

(٣) السنا : الضوء - السناء : الرفعة . وفيها جناس ناقص .

(٤) مثلوا : صوروا .



لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ —

سَبَّ وَمِنْهَا لَادِمُ الْأَسْمَاءِ

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَا

رُ لَكَ الْأُمَهَاتُ وَالْآبَاءُ

✱ مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا

بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ

لَا تَتَّبَاهِي بِكَ الْعَصُورُ وَتَسْمُو

بِكَ عَلِيَاءُ بَعْدَهَا عَلِيَاءُ

وهي كما سبق القول قصيدة طويلة ، يتجاوز حديث  
البوصيري فيها أحداث السيرة النبوية العطرة ، حيث ينتقل  
للحديث عن آل البيت وما حل بهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ويتحدث عن سيرة الخلفاء الراشدين ويصور بطولات  
بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ويختم قصيدته  
بالتوسل والمناجاة وطلب الشفاعة .



## تفنيد مزاعم اليهود والنصارى :

وبعد هذه الجولة السريعة بين معاني شعر المدائح النبوية<sup>(١)</sup> ، ننتقل لتناول جانب آخر من جوانب شعر البوصيرى ، وهو قريب الصلة بالمدائح النبوية<sup>(٢)</sup> ، وفيه يبين البوصيري موقفه من النصارى واليهود ، وحديثه في هذا الجانب ينقسم إلى قسمين : أحدهما يتصل بالجانب الديني ، والثاني بالجانب السلوكي .

أما القسم الأول فيحرص فيه البوصيرى على إثبات فساد عقيدة النصارى واليهود ، وذلك من خلال تفنيده لمزاعمهم ، إذ يوازن بين تلك المزاعم وما جاء في كتبهم المقدسة مما يفند تلك المزاعم ، ففي قصيدته "المخرج والمردود على النصارى واليهود" يفند فكرة ألوهية عيسى عليه السلام

---

(١) إن الحديث عن المدائح النبوية في شعر البوصيري يحتاج إلى بحث مستقل ، فإذا كنا فيما سبق قد أشرنا لبعض قصائد المدح النبوي ، فإننا تركنا الحديث عن الكثير من القصائد والمقطوعات ، كذلك الكثير من المعاني والمقطوعات التي وردت في قصائد ذات أغراض أخرى .

(١) وتتضح هذه الصلة في جانبين : الأول وهو الاشتراك في الباعث الديني ، والثاني هو الالتقاء في المعنى ، حيث خصص الشاعر حوالي مائة بيت من هذا النص - مثلا - للمدح النبوي ، والحديث عن الجهاد ، والمعجزات ، والتوسل وطلب الشفاعة .



التي تقوم عليها الديانة المسيحية المحرقة ، بمختلف البراهين  
والأدلة ، ففي مطلعها يسخر من حمق النصارى بقوله (١) :  
جاء المسيح من الإله رسولا  
فأبى أقل العالمين عقولا  
قوم رأوا بشرا كريما فادعوا  
من جهلهم لله فيه طولا  
وعصاة ما صدقته وأكثر  
بالإفك والبهتان فيه قليلا  
لم يأت فيه مفرط ومفرط  
بالحق تجريحا ولا تغديلا  
فكأنما جاء المسيح إليهم  
ليكذبوا التوراة والإنجيل

---

(١) قال البوصيري في التقديم لهذه القصيدة : "لما رأيت كتب النصارى واليهود  
الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها  
بخلاف ما يدعونه من ألوهية المسيح ، ومن صلبه ، وإثبات رسالته إلى  
النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما  
سهل نظمه من ذلك ، وأردت أن أورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه  
من النصوص التي لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها ولا بترتيبها" . الديوان ،  
ص ١٧٥ - ١٧٦ .



فَاعْجَبْ لَأُمَّتِهِ الَّتِي قَدْ صَيَّرَتْ

تَنْزِيهَهَا لِإِلَهِيهَا التَّنْكِيلَا

ثم يقيم عليهم الحجج العقلية والمنطقية ، كقوله إن كان  
المسيح إلهاً فهل يحتاج إلى الطعام والشراب ، وهل هو كالbشر ينام  
ويتعب ، ويمرض ويموت .. وغير ذلك مما نراه في مثل قوله (١) :

أَسْمِعْتُمْ أَنَّ إِلَهًا لِحَاجَةٍ

يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَا

وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ

وَيَرُومُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ مَقِيلَا

وَيَمْسُهُ الْأَلَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ

صَرْفَ أَلَمِهِ عَنْهُ وَلَا تَخْوِيلَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بِرُزْعِهِمْ

مَنْ كَانَ بِالتَّذْيِيرِ عَنْهُ كَفِيلَا

هَلْ كَانَ هَذَا الْكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ

مِنْ بَعْدِهِ أَمْ أَثَرَ التَّعْطِيلَا

اجْزُوا الْيَهُودَ بِصَلْبِهِ خَيْرًا وَلَا

تُخْزُوا يَهُودًا الْآخِذَ الْبِرْطِيلَا

---

(١) الديوان ، ص ١٨٠ .



ثم يعود البوصيري إلى كتبهم فيورد منها ما ينفي مزاعمهم ، من ذلك ما نراه في رده على زعمهم أن المسيح عليه السلام مات مصلوباً<sup>(١)</sup> :

فَدَعُوا حَدِيثَ الصَّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ

مِنْ كُتُبِكُمْ مَا وَافَقَ التَّزْيِيلَ

شَهِدَ الزَّبُورُ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ

أَفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَدْخُولًا

أَيَكُونُ مَنْ حَفِظَ إِلَهًا مُضِيًّا

أَوْ مَنْ أَشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولًا ؟

أَيَجُوزُ قَوْلُ مَنْزَرِهِ لِإِلَهِهِ

سُبْحَانَ قَاتِلِ نَفْسِهِ شَأَقُولًا ؟

يُعَقِّبُ البوصيري على هذه الأبيات بما أورده من الزبور فيقول : "في زبور داود عليه السلام : (إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء قدسه) وكذلك قوله - والكلام للبوصيري - : (إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك) فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصلب والقتل ، فماذا يكون ؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به ، ولا رواية صحيحة ، أن المسيح صلب ، فإن أحداً ما حضره من أصحابه عندما أخذ شبهه ، ولا كانت اليهود

---

(١) الديوان ، ص ١٨٠ .



يعرفونه ، وإنما دلهم عليه رجل يقال له يهوذا ، ويسمونه يودنس  
الأسخريوطي ، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد<sup>(١)</sup> .

وفي تفنيد فكرة الأقانيم الثلاثة التي يدين بها النصارى  
يقول البوصيري<sup>(٢)</sup> :

لَضَلَّ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَأَقْسَمُوا

لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلًا

لَجَعَلُوا الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا وَلَوْ اهْتَدَوْا

لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا

عَبَدُوا إِلَهًا مِنْ إِلَهٍ كَائِنًا

ذَا صُورَةٍ ضَلُّوا بِهَا وَهَيُولَى

ضَلَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَلَا تَكُنْ

بِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى مَدْلُولًا

وَالْمُدَّعَى التَّثَلُّثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا خَالِي مَا جَارَهُ فِي كَيْسِهِمْ دِيخَانِي الْعَمَلِ  
مَا خَالَفَ الْمُنْقُولَ وَالْمَعْقُولَا

وبعد أن تتبع البوصيري مزاعم النصارى وفندها ،

عرج على اليهود ومزاعمهم ، وبدأ بالحديث عن اتخاذهم العجل

(١) الديوان ، ص ١٨٠ .

(٢) الديوان ، ص ١٨١ .



إلهاً ، ثم انتقل للحديث عن فساد عقيدتهم ، وتحريفهم التوراة ،  
وما أضافوه إليها من أباطيل<sup>(١)</sup> :

عَوَالِدُونَ الْعَجَلِ قَدْ فَتَنُوا بِهِ

وَدُّوا اتِّخَاذَ الْمُرْسَلِينَ عَجُولًا

فَإِذَا أَتَتْ بُشْرَى إِلَيْهِمْ كَذَبُوا

بِهَوَى النَّفُوسِ وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا

وَكَفَى الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ قَدْ مَثَّلُوا

مَعْبُودَهُمْ بِعِبَادِهِ تَمْثِيلًا<sup>(٢)</sup>

ثم استرسل البوصيري في تبیین فساد عقيدتهم ، وتحدث عما  
فعلوه بالأنبياء ، وأسهب في الحديث عن موسى عليه السلام وما  
نسبوا إليه من الأقوال والأفعال ، من ذلك ما نراه في قوله<sup>(٣)</sup> :

وَحَدِيثُهُمْ فِي الْأَنْبِيَاءِ فَلَا تَسْلُ

عَنْهُ وَخَلَّ غَطَاءَهُ مَسْدُودًا

لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ قَذْفِ دَاوُدَ وَلَا

لُوطٍ فَكَيْفَ بِقَذْفِهِمْ رُؤُبِيلًا

---

(١) الديوان ، ص ١٨٢ .

(٢) قال البوصيري في معنى هذا البيت : "وفي التوراة ما يدل على التبديل :  
أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح" . الديوان ، ص ١٨٢ .

(٣) الديوان ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .



وَعَزَّوْا إِلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَوْلَادِهِ  
ذَكَرًا مِنَ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ مَهُولًا  
وَالِى الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ وَكَفَى بِهَا  
صَدِيقَةً حَمَلَتْ بِهِ وَبَثُّوْلًا<sup>(١)</sup>  
وَلَمَنْ تَعَلَّقَ بِالصَّلِيبِ بِزَعْمِهِمْ  
لَعْنًا يَغُودُ عَلَيْهِمْ مَكْفُولا  
وَجَنَّوْا عَلَى هَارُونَ بِالْعَجَلِ الَّذِي  
نَسَبُوا لَهُ تَصَوِيرَهُ تَضَلِيلًا  
وَبَأَنَّ مُوسَى صَوْرَ الصُّورِ الَّتِي  
مَا حَلَّ مِنْهَا نَهْيُهُ مَعْقُولا

وبعد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى ، تعود هذه القصيدة  
- المخرج والمردود -<sup>(٢)</sup> وتلتقي مع قصائد المدح النبوي ، إذ

---

(١) البتول : المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم ، ويقال : هي المنقطعة إلى  
الله عز وجل عن الدنيا .

(٢) يمكن تقسيم القصيدة إلى ثلاثة أجزاء ، خصص الجزء الأول منها لتفنيد  
مزاعم اليهود والنصارى ، وهو من مطلع القصيدة حتى البيت ٩٥ . أما  
الجزء الثاني فخصصه لذكر البشارات السماوية بالبعثة المحمدية ، وهو  
من البيت ٩٦ - ١٨٧ . وخصص الجزء الثالث : لمدح المصطفى صلى  
الله عليه وسلم وما يتصل به من ذكر صفاته وطلب شفاعته ، ويمتد من  
البيت ١٨٨ حتى آخر النص .



يتخذ البوصيري من حديثه عن عناد النصارى واليهود ، وكفرهم بما جاء في كتبهم مدخلا للمدح النبوي ، وفيه يسلك الطريق التي سلكها في مدائحه ، حيث يذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، وجهاده مع أصحابه في سبيل الله ، ويتحدث عن بعض المعجزات ، ثم يُظهر شوقه لزيارة قبر النبي ، وينتهي إلى طلب الشفاعة<sup>(١)</sup> .

أما القسم الآخر الذي يعكس موقف البوصيري من الجانب السلوكي للنصارى واليهود ، فهو الذي يدخل تحت طائلة الهجاء رغم أنه لا ينفصل عن القسم الأول ، فإذا كان في هذا الجانب سيصف النصارى بالفساد والرشوة والرياء وشهادة الزور ... ، فإنه قد سبق وأن حكم عليهم بفساد العقيدة وبطلانها ، وبالتالي لا يستنكر فساد الخلق ممن فسدت عقيدته ، أليس قوله<sup>(٢)</sup> :

إِنَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَعَاشِرَ

جَبَلُوا عَلَى التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ

لَوْ أَنَّ فِيهِمْ غُورًا عَنْ بَاطِلٍ

أَبْقَوْا عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

(١) الديوان ، ص ٣١٣ - ٢٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٧ .



يُغْنِي عن كل قول بعده ، إِنَّ نَقْدَهُ لسلوكهم ما هو إِلَّا تَأْكِيدٌ على موقف قد اتخذهُ الشاعر منهم ، وإن حشد الأدلة التي تُظهر سوء خلقهم لا يعني إِلَّا الإقْناع بصدق موقفه منهم ، فهو حين يقول (١) :

وَمَا فِيهِمْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ

أَخُو قَلَمٍ إِلَّا يَخُونُ وَيَغْدِرُ

فإنه لا يضيف إِلَّا تكرار التأكيد على موقفه المسبق منهم ، لذلك فإنه من المفيد أن نحاول الكشف عن مبررات هذا الموقف ، وخاصة موقفه من النصارى ، حيث لم يترك مناسبة في شعره إِلَّا تعرض لهم فيها (٢) .

وأكاد لا أجزم بأن غيرته على الإسلام فقط هي التي دفعته للتعرض للنصارى واليهود ، كما أنني لا أستطيع أن أزعم أن فساد ما بينه وبين النصارى في خبرته العملية معهم (٣) هي

---

(١) الديوان ، ص ١٦٤ .

(٢) السابق ، ص ٩٧ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ٢٢٦ ، ٢٦٦ وغيرها .

(٣) عانى البوصيري من سيطرة الكتاب النصارى ببلييس على ديوان المحاسبة الذي كان يعمل فيه ، ولأنهم كنوا له البغضاء حرصوا على تصيد الأخطاء الحسابية التي وقع فيها ، وأعلنوا مراراً أنه لا يصلح لمثل هذا العمل ، كما أوقفوا راتبه وجعلوه يعاني الجوع هو وأفراد أسرته . وقد بين البوصيري ذلك في القصائد التي نقد فيها المستخدمين . انظر : الديوان ، ص ٩٧ .



السبب الوحيد الذي جعله يتتبع فساد عقيدتهم وسوء خلقهم ، ولا نكاد نعرف السبب الأساس الذي انبثق عنه الآخر : هل هو سوء العلاقة بينه وبينهم ؟ أم الغيرة على الإسلام أولاً ؟  
وأيّاً كانت الإجابة فإنّه لا ينبغي تجاهل عامل آخر لا يقل أهمية عن العاملين السابقين ، ويكمن فيما شاهده البوصيري من حملات الصليبيين وهجماتهم على بلاد المشرق الإسلامي ، وما عاناه - كغيره من المسلمين - من خيانة بعض النصارى المحليين وتعاونهم مع الصليبيين والتآمر في كثير من الأحيان ، ولكل ما سبق واكبت معارك البوصيري الخاصة مع النصارى تصدي المسلمين للحملات الصليبية<sup>(١)</sup> .

---

(١) عاش البوصيري جزءاً من حياته في كنف الدولة الأيوبية ، وشاهد الهجمات الصليبية على المشرق الإسلامي ، وعاش الأوضاع التي عاشتها البلاد الإسلامية ، فشهد في صباه الحملة الصليبية الخامسة التي جاءت لتوسيع ملك الصليبيين ، حيث احتلت دمياط سنة ٦١٦هـ ، كذلك شهد الحملة الصليبية السادسة ، التي استطاع قائدها "فردريك الثاني" الحصول على بيت المقدس كهدية من الملك الكامل سنة ٦٢٦هـ . وفي عنفوان شبابه شاهد اعتراف الدولة الأيوبية بحق الصليبيين في الشقيف والجليل وبيت لحم والقدس والمجدل وعسقلان .. وغيرها وذلك سنة ٦٣٨هـ . وقبل أفول نجم الدولة الأيوبية شاهد البوصيري احتلال الصليبيين لدمياط سنة ٦٤٧هـ . كما شاهد نجاح شجر الدر بعد وفاة زوجها نجم الدين أيوب في القضاء على تلك الحملة - السابعة - وتحرير دمياط ، كذلك شاهد



## النقد الاجتماعي :

يدخل هجاء البوصيري - في معظمه - تحت باب النقد الاجتماعي ، وذلك لأنه يتناول الآفات التي كانت منتشرة بين مستخدمي الدولة آنذاك ، كالخيانة ، والسرقه ، والارتشاء ، والخلافات الطائفية ، وغيرها ... ، ورغم أن الدافع الشخصي

---

انتقال السلطة للمماليك ، وشاهد الزحف المغولي وهو يلتهم البلدان الإسلامية ، ويطيح بخلافة المسلمين في بغداد سنة ٦٥٦هـ . وعانى من النصارى - محليين وغازين - ومن تواطئهم مع التتار ، واستفزازهم لمشاعر المسلمين ، ومجاهرتهم بالمعاصي في رمضان وقولهم : "ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح" .

وفي كنف دولة المماليك عاش البوصيري لحظات النصر والتحرير ، فشاهد قلاوون وجند المسلمين يحررون أنطاكية سنة ٦٦٦هـ ، ويطيحون بأقوى إمارة صليبية في المشرق ، كذلك شاهد بيبرس وهو يظهر الشام من الوجود الصليبي سنة ٦٦٩هـ . ولما تحالف التتار مع الصليبيين وحاولوا احتلال حمص ، تغنى البوصيري ببطولة قلاوون الذي تمكن من القضاء على ذلك التحالف سنة ٦٨٠هـ . وعندما احتلت الحملة الإيطالية عكا سنة ٩٨٦هـ وقتلت وسلبت .. ترقب البوصيري لحظة التحرير التي لم تكن بعيدة ، حيث تمكن خليل بن قلاوون من استئصال الوجود الصليبي من المشرق الإسلامي بأسره سنة ٦٩١هـ . وهكذا نستطيع فهم سبب اهتمام البوصيري بالنصارى ومعاركه التي أدارها ضدهم في شعره .



هو أهم ما يميز الهجاء عن النقد الاجتماعي ، وأن البوصيري في تعرضه لمستخدمي الدولة كان يصدر عن دافع شخصي أحياناً<sup>(١)</sup>، إلا أن توفر ذلك الدافع الشخصي لا ينفي كون شعره نقداً اجتماعياً ، فمعاناة البوصيري من مستخدمي الدولة هي دليل على معاناة الرعية ، فهو لا يتعرض لزيد أو عمرو ، بل

---

(١) لقد حاربته المستخدمون في قوته - كما رأينا آنفاً - حينما حالوا بينه وبين العمل في الديوان ، لذلك رصد أفعالهم المشينة ، وكشف ممارساتهم السيئة ضد الرعية ، وحرّض عليهم الحكام ، وقد بادلته المستخدمون كرهاً بكرهه ، وتمنوا موته لكي يتخلصوا من ملاحقته لهم ، "والدليل على ذلك أنه مرض مرة ، وأغمي عليه لمدة طويلة ، فأشاع الناس أنه مات ، وتناقلوا خبر موته ، ولكنه برئ وسجل فرحه بشفائه ، وعرض بأعدائه الذين أشاعوا خبر موته بقوله :

عَاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ الْبُوصَيْرِيُّ

وَحَيَاةُ الْكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ

عَاشَ قَوْمٌ مِذَّ قِيلَ إِنِّي قَدْ مِتُّ

فَمَاتُوا قَبْلِي بِوَحْزِ الصَّدُورِ

لَسْتُ مِمَّنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي

وَأَبْكِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُبُورِ

وَصَحِيحٌ بِأَنِّي كُنْتُ قَدْ مَـ

تُ وَأَحْيَايَ جُودُ هَذَا الْوَزِيرِ

الديوان ، ص ٩ ، ٢٨٠ .



يُعرض لكل رجل من رجال الدولة خان الأمانة في أثناء قيامه بعمل رسمي كُلفَ به ، وبالتالي فقد ذابت المصلحة الشخصية

في المصلحة العامة ، فهو حين يقول (١) :  
تَكُنْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدِمِينَ

فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا  
فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِنِّي شِفَاهًا

وَأَنْظِرْنِي لِأَخْبِرُكَ الْيَقِينَا  
فَقَدْ عَاشَرْتَهُمْ وَلَبَّيْتُ فِيهِمْ

مَعَ التَّجْرِبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَا  
خَوْتُ بَلْبِيسُ طَائِفَةٍ لُصُوصَا

عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِئِينَا

فإنه يعلن الحرب على جميع المستخدمين ، الذين عاشرهم ، واطلع على ألوان خيانتهم ، وقد أمدّه صدور الإحساس بمآسي شعبه ، ومصائبهم في مستخدمي دولتهم بطول النفس ، والقدرة على الإقناع بالصور الاجتماعية التي يراها ، والمعاني النقدية التي يطرحها ، والأدلة والبراهين التي يقدمها ، والتي

(١) الديوان ، ص ٢٦٦ .



منها حديثه عما بدا عليهم من ألوان النعمة ، وما جأهروا به من المعاصي<sup>(١)</sup> :

وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا لَبِسُوا حَرِيرًا  
وَلَا شَرَبُوا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَا رَبَّوْا مِنَ الْمُرْدَانِ قَوْمًا<sup>التنود بالله</sup>  
كَأَغْصَانٍ يَقْمَنَ وَيَنْحَنِينَا  
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمْ ذُقُونُ  
وَلَكِنْ بَعْدَ مَا نَتَفَقُوا ذُقُونَا

ونلاحظ ثورة الشاعر ، وصدق إحساسه بمصائب شعبه حينما ينتقد الوزير المختص ، ويتهمه بالغفلة عما يدور حوله<sup>(٣)</sup> ، ونرى البوصيري يتميز غيظا ، ويلعب حسرة على

---

(١) الديوان ، ص ٢٦٦ .

(٢) ذاك : تشير إلى خيانتهم التي ذكرها في بيت سابق .

(٣) والبوصيري في هذه القصيدة المتخصصة في عرض ألوان الفساد بين طوائف المستخدمين لا يفوت فرصة في تحريض ذلك الوزير على القصاص فهو بعد كل مشهد يقدمه يحشد ذلك الوزير بمثل قوله :  
فَلَا تَقْبَلْ عَقَابَ الْمَرْءِ حَتَّى تَرَى إِسَاءَةَ مُتَعَفِّفِينَا

وكقوله :

وَفِي حَارِ الْوَلَايَةِ أَيُّ نَهْبٍ فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِبِينَا

- انظر : الديوان ، ص ٦٦ - ٢٧١ .



على مقدرات قومه المنهوبة ، وهو يُذكر ذلك الوزير بأصحاب  
الحق في هذه الأموال ، إنهم الجند ، الذين حموا العباد والبلاد  
من هجمات الصليبيين والتتار ، إن المصلحة العامة تستدعي  
توظيف تلك الأموال في شراء الأسلحة وتحصين البلاد<sup>(١)</sup> :

نزار للملك  
سبحه الفعلة  
أمولانا الوزير غفلت عما

رجاء هدية  
يهم من الكلاب الخائنين  
أطلق جامكيات لقوم  
وتنفق فيء قوم آخرينا<sup>(٢)</sup>

فلا تهمل أمور الملك حتى  
يذل الجند للمتعممين  
فهل ملكوا بأقلام قلاع  
الأمانة الحربية

وهل فتحوا بأوراق حصونا  
ومن قتل الفرنج أشد قتل  
ومن أسر الفرنسيس اللعينا  
ومن خاض الهواجر وهو ظام  
إلى أن أورث التتر المتوننا

(١) الديوان ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) جامكيات : كلمة فارسية معناها معاشات .



ولاقُوا الْمَوْتَ دُونَ حَرِيمِ مِصْرَ  
 وَصَانُوا الْمَالَ مِنْهُمْ وَالْبَتِينَ  
 وَمِمَّا أَحَدٌ أَحَقُّ بِأَخْذِ مَالٍ  
 مِنَ الْأَثَرَاكِ وَالْمُتَجَنِّدِينَ  
 وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ فَرَسًا جَوَادًا  
 لَوَاقِعَةٍ وَلَا سَيْفًا ثَمِينًا  
 فَبَعْدَ الْمَوْتِ قُلُوبٌ لِي أَيْ شَيْءٍ  
 لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ  
 إِذَا أَمْنَاؤُنَا قَبِلُوا الْهَدَايَا  
 وَصَارُوا يَتَجَرَّرُونَ وَيَزْرَعُونَ  
 فَلَمْ لَا شَاطَرُوا فِيمَا اسْتَفَادُوا  
 كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَ  
 وَكُلُّهُمْ عَلَى مَالِ الرِّعَايَا  
 وَمَالِ رِعَايَتِهِمْ يَتَحِيلُونَ  
 والبوصيري في نقده للمستندمين لا يستثنى أي طائفة  
 منهم ، فهو في سبيل المصلحة العامة لا يميز بين فقيه استغل  
 منصبه ونصراني أو يهودي ، بل قد يكون الفقيه أكثر خطراً -



كما يرى البوصيري - لأنه أقدر من غيره على جعل العدل ظلماً ، والباطل حقاً ، من ذلك ما نراه في قوله (١) :

تَحَيَّيْتُ الْقَضَاةَ فَخَانَ كُلُّ

أَمَانَتُهُ وَسَمَوُهُ الْأَمِينَا

وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهَ الْعَدْلَ ظُلْمًا

وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مُبِينَا

وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرٍ

سِوَى مَنْ مَعَشَرَ يَتَأَوَّلُونَا

يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حُقُوقٌ

بِهَا وَلَكِنْ أَوْلَى الْأَخِذِينَا

وَقَالَ الْقَبِطُ إِنَّهُمْ بِمِصْرَ الْـ

مَمْلُوكُ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونَا

وَحَلَّلْتُ الْيَهُودَ بِحِفْظِ سَبْتِ

لَهُمْ مَالِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا

فَلَا تَقْبَلْ مِنَ النَّوَابِ عَذْرًا *سبحان الوزير* *الملك*

وَلَا النَّظَّارِ فِيمَا يُهْمَلُونَا

والبوصيري في هجاء المستخدمين ، ونقد أفعالهم

المشينة لا يعتمد على الخبرة الشخصية فقط ، بل إن مشاعره

---

(١) الديوان ، ص ٢٦٨ .



تثور لمعاناة الرعية من الظلم أينما وقع ، فهو حينما يسمع بما  
وقع على أهل أسوان من الظلم ومصادرة الأموال ، تغلي  
مراجل الشعر في صدره فينظم قصيدة طويلة يصور فيها ألوان  
الظلم ، ومعاناة أهل أسوان ، ويرفعها لسلطان مصر ،  
ومطلعها (١) :

انظرُ بحَقِّكَ في أمرِ الدَّواوينِ

فالكلُّ قد غَيَّرُوا وضعَ القَوَاتينِ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ

إِلَّا تَغَيَّرَ مِنْ عَالٍ إِلَى دُونِ

الكَاتِبُونَ وَلَيْسُوا بِالْكَرَامِ فَمَا

مِنْهُمْ عَلَى الْمَالِ إِنْسَانٌ بِمَأْمُونِ

وَالْكُلُّ جَمْعًا بِيَدِ الْمَالِ قَدْ خَدَمُوا

وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا غَيْرَ ذَا الْحِينِ

وبعد أن يثير مشاعر السخط ، ويدمى القلوب بما يقدمه من  
صور البؤس والمعاناة ، يُحرِّض البوصيري سلطان مصر والشام  
على كشف البلاء عن أهل أسوان ، ويرى أن جهاد عامل أسوان  
ومستخدميه يُقدِّم على جهاد التتار والصليبيين ، بل إن كشف الغمة

---

(١) الديوان ، ص ٢٦٢ .



عن الرعية هي الطريق الأمثل لكسب مرضاة الله عز وجل كما  
يقول البوصيري<sup>(١)</sup> :

فَقُلْ لِسُلْطَانِ مِصْرَ وَالشَّامِ مَعَا  
يَا قَاهِرَا غَيْرَ مَخْفِي الْبَرَاهِينِ  
اَكْشِفْ بِنَفْسِكَ أُسْوَانَا وَمَنْ مَعَهَا  
مِنْ الصَّعِيدِ بِلَا قَوْمٍ مَسَاكِينِ  
عَمَالُهَا قَدْ سَبَوْهُمْ مِنْ تَطَلُّبِهِمْ  
مَا لَا يَكُونُ بِمَقْرُوضٍ وَمَسْتُونِ  
سَبَّوْا الرِّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ  
وَلَا أَمَانَةً لِلْقَبْطِ الْمَلَاعِينِ  
لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقِهَا  
وَلَا تَقْرَبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَاللَّذِينَ  
وَحَلَّ غَزْوُهُمْ هَلَكَوْا وَالْفَرَسُ مَعَا  
وَانْهَضْ بِفُرْسَاتِكَ الْغُرَّ الْمِيَامِينَ  
وَاعْزَنْ عَامِلَ أُسْوَانَ تَتَالُ بِهِ  
جَنَّاتِ عَدْنٍ بِإِحْسَانٍ وَتَمَكِينِ

---

(١) السابق ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .



وبعد .. فهل تجاوز الحقيقة إذا قلنا إن البوصيري لم يقل في الهجاء شعراً ، وإن هجاء المستخدمين الذي انتشر بين طبقات ديوانه بصورة ملحوظة ما هو إلا نقد اجتماعي يهدف إلى تحقيق مصلحة عامة<sup>(١)</sup> ؟

إن مثل هذه المقولة قد تبدو متعارضة مع قول أحد معاصريه : "كان البوصيري على عزارة فضله ، ممقوتا ، لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء في مجالس الأمراء والوزراء"<sup>(٢)</sup> ، ولكن ديوانه يشهد على عدم

---

(١) يبدو أن البوصيري قد أفلح في تحقيق بعض غاياته في هذا المجال ، حيث أمر الملك الظاهر بكسر أوعية الخمر وعاقب شاربها ، وقد عبر البوصيري عن سعادته بذلك فقال :

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الحَمِيَا      وَصَيَّرَ حَتَّىهَا حَدَّ الِيمَانِي  
فَمَا جَسَرَتْ مَلُوكُ الجِنِّ مِنْهُ      لِحُوفِ القَتْلِ تَدْخُلُ فِي القَتَانِي

الديوان ، ص ٢٨٠ . كذلك تم له بعض ما أراد من معاقبة مستخدمي الدولة على خيانتهم ، وقد تم طرد النصارى من الوظائف الحكومية سنة ٦٨٦هـ . وقد سجل البوصيري سعادته بذلك في قصيدة مدح بها السلطان . انظر : الديوان ، ص ١٨٥ .

(٢) الديوان ، ص ٢٨٧ . والمقولة لشهاب الدين محمود ، وتحمل في طياتها الدلالة على أن الذين مقتوا البوصيري كانوا من المستهدفين بنقده ، فهم من ذوى المناصب الحكومية ، ولو كانوا من عامة الناس لما كان ضرورة لذكرهم في مجالس الأمراء والوزراء ، والأمراء والوزراء لا يهتمون



تعرضه لهؤلاء الذين مقتوه إلا لأنهم من المتسلطين على  
الرعية، إذ لم يتعرض في شعره بالهجاء إلا للمستخدمين<sup>(١)</sup> .

---

لسماع الأحاديث عن العامة من الناس . أما عامة الناس فقد أحبوه وتقرّبوا  
منه، وكما أورد الدكتور محمد زغلول سلام : "كان متى مشى في الشوارع  
أسرع إليه الناس يقبلون يديه حتى الصغار منهم ، وكانت تتبعه من جسده  
رائحة طيبة .. الأدب في العصر المملوكي ، ٢٧٤/١ .

(١) وكل ما وجدناه في الديوان عدا حديث الفكاكة والسخرية ، قوله في الشاعر  
زين الدين الرعاد الذي عاب شعر البوصيري هذين البيتين :

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ

وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يُهْجَا

وَشِعْرِي بَحْرٌ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ

وَلَا يَقْطَعُ الرَّعَادُ يَوْمًا لَهُ لُجَا

الديوان ، ص ٢٧٧ .



## المدح :

أما المدح فقد عالجه البوصيري طلبا للرزق ، كما شدا  
ببطولات من استحق المدح وحاز الإعجاب .

وكان للمدح المادي المبني على الطمع نصيب وافر  
يتناسب مع فاقة البوصيري وقلة رزقه ، لذلك امتزج مدحه هذا  
غالبا بالحديث عن سوء أحواله وكثرة عياله ، وما يعانون من  
الحرمان ، من ذلك قوله (١) :

يا أيها المولى الوزير الذي

أيامه طائعة أمرة

ومن له منزلة في الغلا

تكلم عن أوصافها الفكرة

أخلاقك الغر دعنا إلى —

إدلاء في القول على غرة (٢)

إذ لم تزل تصفح عمّن جنى

وتؤثر العفو مع القنرة

---

(١) الديوان ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) يشير في هذا البيت إلى عدم تقديمه ما يكفي من المدح ، ويعتذر للممدوح  
بظمعه في كريم خلقه .



حَتَّى لَقَدْ يَخْفَى عَلَى النَّاسِ مَا  
 تُحِبُّ مِنْ أَمْرٍ وَمَا تَكْرَهُ  
 إِلَيْكَ نَشْكُو حَالَنَا إِنَّنَا  
 عَائِلَةٌ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ  
 أَحَدْتُ الْمَوْلَى الْحَدِيثَ الَّذِي  
 جَرَى عَلَيْهِم بِالْخَيْطِ وَالْإِبْرَةِ  
 صَامُوا مَعَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمْ  
 كَانُوا لِمَنْ يَبْصِرُهُمْ عِبْرَةً  
 إِنْ شَرِبُوا فَالْبِئْرُ زِيرٌ لَهُمْ  
 مَا بَرَحْتَ وَالشَّرْبَةُ الْجَرَّةُ  
 لَهُمْ مِنَ الْخُبَيْرِ مَسْلُوقَةٌ  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشْبِهُ النَّشْرَةَ  
 أَقُولُ مَهْمَا اجْتَمَعُوا حَوْلَهَا  
 تَتَزَهُوا فِي الْمَاءِ وَالْخَضِرَةِ  
 وَأَقْبِلَ الْعِيدُ وَمَا عِنْدَهُمْ  
 قَمْحٌ وَلَا خُبْزٌ وَلَا فِطْرَةٌ  
 فَارْحَمَهُمْ إِنْ أَبْصَرُوا كَعَكَةَ  
 فِي يَدِ طِفْلِ أَوْ رَأَوْا تَمْرَةً



تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَهَا

بِشَهَقَةٍ تَتَّبِعُهَا زَفْرَةٌ

يحاول البوصيري في الأبيات السابقة استدرار عطف ممدوحه بما يقدمه له من صور مؤلمة تثير في النفوس الشفقة والرحمة ، فهذا مشهد يصور متاع البيت الذي خلا حتى من إناء الشرب ومن القمح أو الخبز ، ويعقبه مشهد آخر لأولاده وهم يتحلقون - بعد صيام يومهم - حول الخبيزة المسلوقة ، والأب الحزين يتابع ذلك النهم بدعابة ممزوجة بالشفقة ، فيقول لهم : "تنزهوا في الماء والخضرة" ، ومشهد ثالث تنفطر له القلوب ، وفيه نرى أولاد البوصيري يوم عيد الفطر وهم ينظرون إلى الكعك والتمر في أيدي الصبية ، فتشخص أبصارهم ، ويرسلون شهقات الحسرة والحرمان تباعا ..  
كحبيب راعة فائقة يؤكد البوصيري أنه لا يطلب هبة أو صدقة أو إحسانا ، بل إنه طالب حق ، إنه موظف في ديوان محاسبة بلبيس ، وقد تأمر المسئولون في ذلك الديوان عليه ، وأوقفوا راتبه ، هذا ما يخبرنا به قوله (١) :

---

(١) الديوان ، ص ١٦٦ .



مَا صِرْتَ تَأْتِينَا بِفِلْسٍ وَلَا

بِدِرْهَمٍ وَرَقٍ وَلَا نَقْرَةٍ<sup>(١)</sup>

وَأَنْتَ فِي خِدْمَةِ قَوْمٍ فَهَلْ

تَخْدُمُهُمْ يَا أَبْتَاسُخْرَةَ

يَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى إِذَا لَمْ يَكُنْ

يَجْرِي لَنَا أَجْرٌ وَلَا أَجْرَةَ

ولعل هذا هو السبب في جنوح البوصيري إلى المباشرة في بداية قصيدته ، فهو في غير حاجة إلى تملق الوزير ، لذلك لم يسهب في مدحه ، بل مدحه بما يناسب المقام ، ثم قدم شكايته التي شرحت سوء حاله ، وحثت على إنصافه ممن ظنوا السبب في وقف راتبه ، والذين أوصلوه وأسرتهم إلى أقصى درجات البؤس ، ففي المشهد الختامي من هذه القصيدة نرى معركته مع زوجته التي أعلنت الثورة على تلك الحياة البائسة ، إذ يقول<sup>(٢)</sup> :

وَيَوْمَ زَارَتْ أُمَّهُمْ أَخْتَهَا

وَالْأُخْتُ فِي الْغَيْرَةِ كَالضَّرَّةِ

(١) النقرة : سبيكة من الذهب أو الفضة - والورق : الدراهم المضروبة .

(٢) الديوان ، ص ١٦٧ .



وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لَهَا حَالَهَا  
وَصَبَرَهَا مِنِّْي عَلَى الْعُسْرَةِ  
قَالَتْ لَهَا كَيْفَ تَكُونُ النِّسَاءُ  
كَذَا مَعَ الْأَزْوَاجِ يَا غِرَّةَ  
قَوْمِي اطْلُبِي حَقَّكَ مِنْهُ بِلا  
تَخْلُفِ مِنْكَ وَلَا فَتْرَةَ  
وَأِنْ تَأْتِي فَخُذِي ذَقْنَهُ  
ثُمَّ انْتَفِيْهِهَا شَعْرَةَ شَعْرَةَ  
قَالَتْ لَهَا مَا عَادَتِي هَكَذَا  
فَإِنْ زَوْجِي عِنْدَهُ ضَجْرُهُ  
أَخَافُ إِنْ كَلَّمْتُهُ كَلِمَةً  
طَلَّقَنِي . قَالَتْ لَهَا : بَغْرَةَ  
فَهَوَّئْتُ قَدْرِي فِي نَفْسِهَا  
فَجَسَّاعَتِ الزَّوْجَةَ مُحْتَرَةً  
فَاسْتَقْبَلَتْنِي فَتَهَنَّأَتْهَا  
فَاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِي بِأَجْرَةٍ  
وَبَاتَتْ الْفَتْنَةُ مَا بَيْنَنَا  
مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى بُحْرَةٍ



وَمَا رَأَى الْعَبْدُ لَهُ مَخْلَصاً  
إِلَّا وَمَا فِي عَيْنِهِ قَطْرَةٌ  
فَحَقُّ مَنْ حَالَتْهُ هَذِهِ  
أَنْ يَنْظُرَ الْمَوْلَى لَهُ نَظْرَةً

وإشارة البوصيري - في النص السابق - إلى راتبه  
الموقوف ، ومطالبته به ، لا تتخذ دليلاً على تعففه عن طلب  
العطاء ، بل قد تدل على سوء ظنه بممدوحه ، والدليل على  
ذلك كثرة مدحه للوزراء والأمراء والحديث عن سوء حاله  
وكثرة عياله ، ثم طلب العطاء صراحة ، من ذلك قوله (١) :

مَنْ لِي شَيْخٍ ذِي عِلَّةٍ وَعِيَالٍ  
ثَقَلَتْ فَهْرُهُ بِغَيْرِ ظَهِيرٍ  
أَثْقَلُوهُ وَكَلَّفُوهُ مَسِيرًا  
وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ سَيْرُ ثَبِيرٍ <sup>المجد المرم</sup>  
فَهُوَ فِي قَيْدِهِمْ يُذَاكُ مِنَ السَّ

عِي لِي تَخْصِيلِ قُوتِهِمْ كَالْأَسِيرِ  
وفي قصيدته التي قالها في مدح شمس الدين عيسى  
السنجاري ، التي مطلعها (٢) :

(١) الديوان ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) الديوان ، ص ١٦٨ .



إِنْ تُحْيِ آمَالِي بِرُؤْيَا عَيْسَى

فَلَطَّالِمَا أَنْضَتَ إِلَيْهِ الْعَيْسَى

وفي خضم مدحه نلحظ عدم ثقته بسخاء ممدوحه ، لذلك

نجده يحثه على الكرم بقوله :

يَا بْنَ الَّذِي يَلْقَى الْفَوَارِسَ بِاسِمًا

حَاشَاكَ أَنْ تَلْقَى الضُّيُوفَ عَيْسَى

وإن محاولات البوصيري إعلان تعففه عن طلب

العطاء، ورفضه مقايضة الشعر بالمال إنما هي دليل واضح

على عدم ثقته بكرم ممدوحه ، ومحاولة بارعة لاثارة نخوة ذلك

الممدوح ألا يبدو هذا في مثل قوله (١) :

مَدِيحُهُ فَيْكَ حُرٌّ لَيْسَ يَمْلِكُهُ

مِنْ الْجَوَائِزِ أَشَانٌ وَلَا أَجْرٌ

إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا أَهْدَى كَرَامَتَهُ

فَقَصْدُهُ شَرَفُ الْأَنْسَابِ لَا الْمَهْرُ

تَبَا لِقَوْمٍ قَدْ اسْتَقْنَوْا بِمَا نَظَّمُوا

مِنْ امْتِدَاحِ بَنِي الدُّنْيَا وَمَا نَشَرُوا

فَلَوْ قَفَّوَتْ بِأَخْذِ الْمَالِ إِثْرَهُمْ

لَعَوَّقَتْنِي الْقَوَافِي فَيْكَ وَالْفَقْرُ

---

(١) السابق ، ص ١٤٣ .



خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مَدْحُ ذِي كَرَمٍ  
ذَكَرَى بِمَدْحِي لَهُ فِي الْأَرْضِ يَنْتَشِرُ

لقد ختم قصيدته بطلب العطاء صراحة حين قال :  
وَقَدْ دَعَتْ لَكَ مِنِّي كُلُّ جَارِحَةٍ

وبالإجابة فضل الله ينتظر

ولكن هل يستجيب الممدوح ؟ إن البوصيري يجيب  
بالنفي في غير موضع ، من ذلك قوله (١) :

لَا تَكُنِّي إِلَيَّ سِوَاكَ فَأَخِيَا

رُزْمَاتِي لَا يَمْتَحُونَ خِيَارَ

وَوُجُوهَ الْقَصَادِ فِيهِ حَدِيدٌ

وَقُلُوبُ الْأَنْوَادِ فِيهِ حِيارَه

لذلك قد لا نعجب إذا رأينا البوصيري يعلن عزوفه عن  
طلب العطاء ، ويقرر أنه لن يمدح إلا من يستحق المدح دون  
انتظار المقابل (٢) :

وَمَا خُلِقِي مَدْحُ اللَّئِيمِ وَإِنْ عَلَتْ

بِهِ رُتَبٌ لَا أَتْنِي مُتَكَبِّرُ

(١) الديوان ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ١٦٣ .



وَلَا أَبْتَغِي الدُّنْيَا وَلَا عَرَضًا بِهَا

بِمَدْحِي فَإِنِّي بِالْقَنَاعَةِ مُكْتَفِرٌ

والبوصيري كغيره من شعراء عصره ، يعجبه الفعل  
الحسن فيبيدي إعجابه به ، وأحسن الأفعال عنده هي إصلاح  
الجبهة الداخلية وتطهيرها من المتسلطين على مقدرات الناس  
وتأمين الجبهة الخارجية والتصدي لخطر الأعداء من تثار  
وصاليبيين .

وعلى صعيد الجبهة الداخلية رأينا تحريضه للوزراء على  
إصلاح المفاسد ، ومدحه لمن قام منهم ببعض الإصلاحات<sup>(١)</sup>.

---

(١) الديوان ، ص ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٦٥ - ٢٨٠ .



## الوصف : هذا سداً لجل الزمان السرى

وقد استحق من بنى مستشفى ومدرسة ودار عبادة ،  
تخليد ذكره بقصيدة مدح بالغة الطول ، تتم عن صدق مشاعر  
البوصيري وهو يتغنى بمناقب ممدوحه ، الذي اهتم بمقاومة  
الجهل والمرض كاهتمامه بمقارعة الأعداء ، ومطلعها (١) :

جَوَارِكُ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ يُجِيرُ

وَبِشْرِكٍ لِلرَّاجِي نَدَاكَ بِشِيرُ

وفيها يُسَجِّلُ إعجابه بتلك المباني ، كما يقدم فيها  
مقطوعات من الوصف الرائع الذي يشهد له بإجادة هذا الفن ،  
ففي وصف المئذنة قال (٢) :

فَمِئَذَّةٌ فِي الْجَوِّ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى

عَلَيْهَا هُدًى لِلْعَالَمِينَ وَتُورُ

وَمِنْ حَيْثُمَا وَجَّهَتْ وَجْهَكَ نَحْوَهَا

تَلَقَّتْكَ مِنْهَا نَضْرَةٌ وَسُرُورُ

---

(١) الديوان ، ص ١٤٤ . والممدوح هو الملك المنصور قلاوون ، وفيها يذكر  
انتصاراته ، وفتح حصن المرقب ، كما يشيد ببناء المستشفى ودار العبادة  
والمدرسة سنة ٦٨٤ هـ .

(٢) الديوان ، ص ١٥٠ .



يَمُدُّ إِلَيْهَا الْحَاسِدُ الطَّرْفَ حَسْرَةً  
فَيَرْجِعُ عَنْهَا الطَّرْفُ وَهُوَ حَسِيرٌ  
فَكَمْ حَسَدَتْهَا فِي الْعُلُوِّ كَوَاكِبٌ  
وَعَارَتْ عَلَيْهَا فِي الْكَمَالِ بُدُورٌ  
إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مُؤَذِّنٌ  
فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنُّجُومِ سَمِيرٌ  
فَالنَّاسُ مِنْ تَذْكَارِهِ وَأَذَانِهِ  
فَطُورٌ عَلَى رَجْعِ الصَّدَى وَسَحُورٌ

ومن بديع شعره ، وجيد معانيه ، تلك الأبيات التي  
وصف فيها المستشفى والحدائق المحيطة به ، وتغزل بحاسنها  
رغم عزوفه عن التغزل بالغيد الحسان ، قال (١) :  
فَلَوْ تَعَلَّمَ الْأَجْسَامُ أَنْ تُرَابَهُ  
مَهْلِكُ حَيَاةِ الْجُسُومِ وَثِيرٌ  
لَسَارَتْ بِمَرَضَاهَا إِلَيْهِ أَسِرَّةٌ  
وَصَارَتْ بِمَوْتَاهَا إِلَيْهِ قُبُورٌ  
وَمَا عَادَ يُبْلَى بَعْدَ ذَلِكَ مَيِّتًا  
ضَرِيحٌ ، وَلَا يَشْكُو الْمَرِيضَ سَرِيرٌ

---

(١) الديوان ، ص ١٥١ .



بِجَنَّتِهِ وَرُقْ تَرَاوِيلُ مَاءَهُ

يَشُوقُ هَدِيلٌ مِنْهُمَا وَهَدِيرُ

مَحَاسِنُهَا اسْتَدْعَتْ نَسِيبِي وَمَا دَعَا

نَسِيبِي غَزَالٌ قَبْلَ ذَاكَ غَرِيرُ

أما المدرسة فقد حازت حفاوة الشاعر واحتفاله بها ،  
فراح يرسم لها الصور تباعا ، فمرة يقدمها على جميع المدارس  
وأخرى يفضلها على منارة الإسكندرية ، ويحار في أمرها  
فيزعم أن لا مثيل لها على مرّ الأزمان ، ومما جاء في وصف  
تلك المدرسة نجتزئ هذه الأبيات (١) :

وَمَدْرَسَةٌ وَدَّ الْخَوَرَنَقُ أَنَّه

لَدَيْهَا حَلِيبٌ ، وَالسَّيْدُ غَدِيرُ

مَدِينَةُ عِلْمٍ وَالْمَدَارِسُ حَوْلَهَا

قُرَى ، أَوْ نُجُومٌ يَدْرَهُنَّ مَنِيرُ

تَبَدَّتْ فَأَخْفَى الظَّاهِرِيَّةُ نُورَهَا

وَلَيْسَ بِظَهَرٍ لِلنُّجُومِ ظُهُورُ

بِنَاءٌ كَانَ النَّحْلُ هُنْدَسَ شَكْلَهُ

وَلَا تَ لَهُ كَالشَّمْعِ مِنْهُ صُخُورُ

---

(١) الديوان ، ١٥٢ .



ومدح جند المسلمين ، ووصف معاركهم ، والافتخار  
ببطولاتهم ، لون من الألوان الشعرية التي تتجلى فيها مشاعر  
البوصيري الصادقة ، والتي يجد فيها متنفسا للتعبير عما يجيش  
بنفسه اتجاه أعداء الدين والأمة ، من ذلك - مثلاً - ما نراه في  
وصف حصار حصن المرقب ، ذلك الحصن الذي "كان مضرّة  
على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك  
صلاح الدين ، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس .." (١) ، وقد  
احتفل المسلمون في مختلف البلاد بفتح ذلك الحصن (٢) ، وتمثل  
ابتهاج البوصيري بهذا النصر في طول نفسه ، وحرارة  
مشاعره ، وصدقها في وصف تلك المعركة وإعلان ثقته

---

(١) ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :  
البداية والنهاية ، مطبعة المعارف ، بيروت ج ١٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) فتحه السلطان قلاوون سنة ٦٨٤هـ - وقد قيل في تخليد هذا النصر ومدح  
قلاوون الكثير من الأشعار ، منها قصيدة شهاب الدين محمود التي يقول في  
مطلعها :

الله أكبرُ هذا النصرُ والظفرُ هذا هو الفتحُ لا ما تزعمُ السيرُ

وفيها يشير إلى استعصاء هذا الحصن على الفاتحين من أبطال المسلمين  
قبل قلاوون بقوله :

كم رآم قبلك هذا الحصن من ملك فطال عنه وما في بآعه قصر

- راجع : ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٧٢ ، ٣١٧/٧ .



بصلابة ممدوحه - السلطان قلاوون - وبطولة جند المسلمين ،  
ومما قال في ذلك (١) :

يَظُنُّونَ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ يَصُدُّهَا  
عَنِ الْعَدُوِّ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ دُخُورُ  
أَمَا زُلْزِلَتْ بِالْعَادِيَّاتِ وَجَاءَهَا  
مِنَ التُّرْكِ جَمٌّ لَا يُعَدُّ غَفِيرُ  
فَذَاقُوا بِهِ مَرَّ الْحِصَارِ فَأَصْبَحُوا  
لَهُمْ ذَلِكَ الْحِصْنُ الْحَصِيرُ حَصِيرُ  
يَصِيحُونَ أَعْلَى السُّورِ خَوْفًا كَصَافِنِ  
نَفَى عَنْهُ نَوْمَ الْمُقَلَّتَيْنِ صَفِيرُ  
وَمَاذَا يَرُدُّ السُّورَ عَنْهُمْ وَخَلْفَهُ  
مِنَ الْخَيْلِ سَوْرٌ وَالصَّوَارِمِ سُورُ  
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى الْأَسْرِ مَلْجَأُ  
وَالَا إِلَى ضَرْبِ الرِّقَابِ مَصِيرُ  
فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسِّ أَغْلَبَ هَمَّةُ  
غَدُوٍّ إِلَيْهِمْ بِالرَّدَى وَبُكُورُ  
دَعْوَةٍ وَشَمْلُ النَّصْرِ مِنْهُمْ مَمَزَقُ  
أَمَانًا وَجِلْبَابُ الْحَيَاةِ بَقِيرُ

(١) الديوان ، ١٤٥ - ١٤٦ .



أَعَارَهُمْ أَفَرَنْسِيْسُ تِلْكَ وَسِيْلَةً  
رَأَى مُسْتَعِيْرًا غِبَّهَا وَسَعِيْرُ  
فَدَى نَفْسَهُ بِالْمَالِ وَالْآلِ وَانْتَشَى  
تَطِيْرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ طِيُوْرُ  
فَلَا تَذْكُرُوا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْهُمْ  
فَذَلِكَ لِأَحْقَادِ السُّيُوفِ مُثِيْرُ  
فَلَوْ شَاءَ سُلْطَانُ الْبَسِيْطَةِ سَاقَهُمْ  
لِمِصْرٍ وَتَحْتَ الْفَارِسِيْنَ بَعِيْرُ

ومما جاء في وصف شجاعة ممدوحه في التصدي  
لهجمات الصليبيين والتتار ، نذكر أيضا هذه الأبيات من جملة  
ما قاله في مدح والي القاهرة وجنوده البواسل (١) :

وَحِينَ طَارَتْ إِلَى الْأَعْدَاءِ سَمْعَتُهُ  
مَاتَ الْفَرَجُ بِدَاءِ الْخَوْفِ وَالتَّتَرُ  
فَمَا يُبَالِي بِأَعْدَاءِ قُلُوبِهِمْ  
فِيهَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ

---

(١) الديوان ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ . والي القاهرة هو الأمير عز الدين أيبك  
الفخري ، أسندت إليه ولاية القاهرة بعد شمس الدين ابن إسباسلار الذي  
توفي سنة ٦٧٨ هـ .



فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى الْقَتْلَى بِصَارِمِهِ  
كَأَنَّمَا نُحِرَتْ فِي مَوْسِمِ جُزُرٍ  
كَأَنَّ صَارِمَهُ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ  
نَذِيرُ مَوْتٍ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ النُّذُرُ

\*\*\*

تَرَكْتُ تَزَيَّنْتَ الدُّنْيَا بِذِكْرِهِمْ  
فَهُمْ لَهَا الْحَلِيُّ إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا  
حَكَتْ ظَوَاهِرُهُمْ حُسْنًا بِوَاطِنِهِمْ  
فَهُمْ سَوَاءٌ أَسْرَوْا الْقَوْلَ أَوْ جَهَرُوا  
بِيَضِّ الْوَجْهِ يَجُنُّ اللَّيْلُ إِنْ رَكِبُوا  
إِلَى الْوَعْيِ وَيَضِيءُ الصُّبْحُ إِنْ سَفَرُوا

وتتجلى شدة اهتمام البوصيري بالقضاء على أطماع  
الصليبيين والتتار ، وانشغاله -حتى في منامه - بتحرير آخر  
المعقل الصليبية في الشام ، في هذه الأبيات التي بشر فيها بفتح  
عكا (١) :

لَقَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَكَا  
وَأَشْبَعُوا الْكَافِرِينَ صَاكَا

---

(١) الديوان ، ٢٧٩ .



لَا وَسَّاقَ سُلْطَانُنَا إِلَيْهِمْ  
خَيْلًا تَدْكُ الْجِبَالَ دَكًّا  
وَأَقْسَمَ التُّرْكُ مِنْذُ سَارَتْ  
لَا تَرْكُوهَا لِلْفُرَنْجِ مَلَكًا

قد سمع البوصيري هذه الأبيات في منامه - على حدّ قوله -  
قبل أن يخرج السلطان الأشرف خليل إلى الشام لتحرير عكا .



## الغزل :

أما الغزل فقد حدد البوصيري موقفه منه في كثير من

قصائده<sup>(١)</sup> ، من ذلك ما نراه في قوله<sup>(٢)</sup> :

ما شاقَّه لَغْزَالٍ فِي الظُّبَا غَزَلٌ

وَلَا لَغَاتِيَّةٍ فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ

وكذلك قوله<sup>(٣)</sup> :

وَلَا تُشَبِّبْ بِأَوْطَانٍ وَلَا بِمَنْ

وَلَا تُعْرِجْ عَلَى رَبْعٍ وَلَا ظَلَلٍ

وَصِفْ حَبِيبَ اللَّهِ مُتَفَرِّدًا

بُو. فهو خيرُ الوصفِ والغرِّ

وإن عالجَه فهو لم يصدر عن تجربة ومعاناة ، بل جاء

قلبيداً في مطالع مدائحه ، أو دخل في باب الدعابة والسدبة

التي أغرم بها البوصيري ، من ذلك ما تجلّى في قوله على

لسان فتاة راودها عن نفسها<sup>(٤)</sup> :

---

(١) الديوان ، ص ١٥١ ، ٢٣٤ .

(٢) السابق ، ١٤٣ .

(٣) السابق ، ٢٣٣ .

(٤) السابق ، ٢٧٦ .



أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ  
وَالْتَصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُغُونَهُ  
أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ  
إِنَّ حُبِّي لَا يَدْخُلُ الْقَتِينَةَ  
كَيْفَ أَغْصِي الْهَوَى وَطِينَةَ قَلْبِي  
بِالْهَوَى قَبْلَ أَدَمِ مَعْجُونَتِهِ  
سَلَبَتْهُ الرُّقَادَ بَيْضَةً خَذَرُ  
ذَاتِ حُسْنٍ كَالِدُرَّةِ الْمَكْنُونَةِ  
سَمَتْهَا قُبْلَةً تُسَرُّ بِهَا النَّفْسُ  
سُفْهُنُ فَقَالَتْ كَذَا أَكُونُ حَزِينَةً  
قُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ تَسِيرِي إِلَى الدَّارِ  
أَرِ فَقَالَتْ : عَمِي أَنَا مَعْجُونَتُهُ  
قُلْتُ سِيرِي فَإِنِّي لَكَ خَيْرٌ  
مِنْ أَبِي رَاحِمٍ وَأُمِّ حَنُونَةٍ  
أَنَا نِعَمَ الْقَرِينِ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي  
مِنْ حَالًا وَأَنْتِ نِعَمَ الْقَرِينَةِ  
قَالَتْ : اضْرِبِي عَنِّي وَصَلِي مِثْلِي صَفْحًا  
وَاضْرِبِي الْخَلَّ أَوْ يَصِيرَ طَحِينَةً



لَا أَرَى أَنْ تَمَسَّتِي يَدُ شَيْخٍ

كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لَطَشَتِي مَشِيئَةً

وإذا كنا نلاحظ على هذه القصيدة سهولة الأسلوب والميل إلى التراكيب الشعبية ، وما يجري على ألسنة العامة من الأمثال والعبارات ، فإنَّ هذه الملاحظة تنطبق على معظم شعره الذي جنح فيه إلى الدعابة والسخرية ، شأنه في ذلك شأن جل شعراء عصره .



## الدعابة والسخرية :

عاش البوصيري حياة جادة تلونت بمعاناة شظف العيش وقسوة الحياة ، الأمر الذي جعله لا يجيد الغزل ، كما يجعلنا لا نتوقع أن يتمتع بروح الدعابة أو السخرية ، هذا باستثناء دلالة المثل القائل "شرّ البلية ما يضحك" ، خاصة إذا ارتبط الأمر بالفقر ، وإثارة مشاعر الشفقة ، يؤكد ذلك تلك الصور من صور السخرية والدعابة التي رواها البوصيري على لسان حمارته ، الأمر الذي يذكرنا بما قاله بشار على لسان حماره ، وما كان من وصف البهاء زهير لبغلة صاحبه ، ودعابات الجزار ، وما قاله في رثاء حماره .. (١) ، ومما رواه البوصيري على لسان حمارته قصيدته التي مطلعها (٢) :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتَ

أَلْفَظُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ

والتي يقول فيها :

---

(١) راجع : الشعر الفكاهي ، وما جاء في ترجمة الجزار والبهاء زهير في كتابنا : الأدب المملوكي والعثماني .

(٢) استعار ناظر الشرقية حمارة البوصيري ، فأعجبته ، فأخذها وجهز له مائتي درهم . فكتب البوصيري هذه القصيدة . الديوان ، ص ٢٣٧ .



مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ

قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ

لَوْ جَرَسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ

لَقُلْتُ غِيظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ

طَالَ بِي شَوْقٌ إِلَى وَطَنِي

وَالشَّوْقُ دَاءٌ لَا دُقْتُه قَاتِلُ

لَا تَطْمَعُوا أَنْ أَكُونَ عِنْدَكُمْ

فَذَلِكَ مَالًا يَرُومُهُ الْعَاقِلُ

وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ

مَلِكِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلُ

لقد أفلح البوصيري في استدرار عطف "ناظر الشرقية"

بهذه المعاني الساخرة ، فأعاد له الحمارة ، وسامحه فيما دفع

فيها من دراهم .



## الرثاء :

ويكتمل الحديث عن جوانب شاعرية البوصيري بذكر  
الرثاء ، ونورد منه هذه الأبيات التي قالها في تأبين صاحب  
فخر الدين<sup>(١)</sup> :

نَمْ هَنِيئاً مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ  
بِجَمِيلٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ  
لَمْ تَزَلْ عَوْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى  
غَلَبَتْنَا يَدُ الْمُتَوْنِ عَلَيْكَ  
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الْحَيَاةِ إِلَيْنَا  
أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الْمَمَاتِ إِلَيْكَ

بقى أن نقول لقد عرف القدماء فضل البوصيري  
ومكانته الشعرية ، فقال السيوطي : "من سبر شعره عرف  
مزيته" ، وقال ابن شاعر : "شعره في غاية الحسن واللطافة ،  
عذب الألفاظ ، منسجم التراكيب" ، وقال ابن العماد : "برع في

---

(١) وهو صاحب فخر الدين بن صاحب بهاء الدين ، المشهور بابن حنا ،  
توفي سنة ٦٧٢هـ ، الديوان ، ص ٢٨٠ .



النظم ، قال فيه ابن سيد الناس : هو أحسن من الجزار  
والوراق" (١) .

---

(١) راجع : - السيوطي ، حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،

ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧م ، م ١ ، ص ٥٧٠ .

- الديوان ، ص ٢٨٢ - ٢٩٢ .

- د. سلام ، محمد زغلول : الأدب في العصر المملوكي ، ط. دار

المعارف ، القاهرة ١٩٧١م ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .



## خصائص شعره :

يتردد شعر البوصيري بين قوة الأسلوب وسهولته ، وعمق المعاني وقربها ، وحرارة العاطفة وفتورها ، وخصوبة الخيال وضموره .. فعناصر الشعر عنده غير مستقرة الخصائص ، إذ تختلف بين قصيدة وأخرى حسب اختلاف الباعث والموضوع ، وقد تختلف أيضا داخل القصيدة الواحدة ، وخاصة تلك القصائد الطوال التي اشتملت على عدة موضوعات .

فالعاطفة الصادقة التي تتجلى في المدائح النبوية ، والتي تصدر في معظمها عن حرارة الايمان ، وتظهر صدق التوجه في التعبير عن اللوعة القلبية نحو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمجيد صفاته ، ووصف بطولات جنده الأبرار وتتبع أحداث سيرته العطرة ، إنما يتبعها جزالة في الألفاظ ورصانة في الأسلوب ، وجودة في المعاني وجمال في الصور والتشبيهات . وهذا يمكن ملاحظته بسهولة في الكثير من نماذج المدح النبوي التي سبق ذكرها ، وللتأكيد على ذلك نورد هذه الأبيات



التي تدل على براعة البوصيري في وصف جند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> :

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْقٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ  
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرْمٍ<sup>(٢)</sup>  
يَجْرُ بَحْرٌ خَمِيسٌ فَوْقَ سَابِجَةٍ  
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُنْتَظِمٍ<sup>(٣)</sup>  
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ  
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلَمٍ  
حَتَّى غَدَتْ مِثَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ  
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ  
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ  
مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ  
وَسَلَّ حَنِينًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا  
فُصُولٌ حَتَفَ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَحْمِ<sup>(٤)</sup>

---

(١) الديوان ، ٢٤٦ .

(٢) القرم : السيد ، والقرم بالتحريك شدة الشهوة للحم ، وفيها جناس .

(٣) الخميس : الجيش ، السابجة : الخيل .

(٤) الوحم : الوباء .



المُصْدِرِي البِيضَ حُمْراً بعدما وَرَدَتْ

مِنَ العِدا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ<sup>(١)</sup>

يعكس هذا الأنموذج براعة البوصيري في تخير ألفاظه،  
لتناسب مع المعاني التي يريد التعبير عنها ، إنها الألفاظ  
الجزلة ، ذات الإيقاع الصوتي الشديد ، الذي يتناسب مع  
ضجيج المعركة ، إذ يسمعنا رنين حروفها جلبة المعركة ، قبل  
أن تنقلنا معانيها وأخيلتها لتتبع مشاهد تلك المعركة وتحركات  
الجند فيها ..

أما إذا انتقل البوصيري إلى الدعابة والسخرية ، فإن لكل  
مقام مقالاً ، حيث تتجلى سهولة لفظه ، وسماحة تراكيبه ،  
وقرب معانيه ، وخفة ظله ، وسماحة عشرته ، من ذلك مثلاً ما  
يبدو في قوله<sup>(٢)</sup> :

مَا فِي الزَّمَانِ جَرَاكُ

يُرْجَى لِيَدْفَعِ الْعِظَامُ

وَلَا لِنَيْلِ مُرَاكِ

وَلَا لِبَيْزِ الْمَكَارِمِ

---

(١) البيض : السيوف - اللمم : جمع لمة ، وهي الشعر إذا تجاوز الأذن .

(٢) الديوان ، ٢٥٦ .



سِوَاكَ يَا خَيْرَ وَالٍ  
يُذْعَى وَيَا خَيْرَ حَاكِمٍ  
انْظُرْ بِحَقِّكَ حَالِي  
فَأَنْتَ بِالْحَالِ عَالِمٌ  
إِنَّ الْعَمَلِ أَرَأَيْتَ  
بِأَنَّهُ الْيَوْمَ صَائِمٌ  
وَلَيْسَ يَرْجُو ثَوَابًا  
وَلَا يَخَافُ مَأْثَمَ  
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ  
أَنْ لَا صِيَامَ لِيَوْمِ الظَّالِمِ  
وَصَوْمُنَا فِي اتِّبَاعِ  
لَهُ صِيَامِ الْبَهَائِمِ  
فَخُذْ لَنَا الْيَوْمَ مِنْهُ  
غَدَاءَنَا وَهُوَ رَاغِمٌ

إن سهولة اللفظ لم تخل بفصاحته ، وإنما تقربه من الروح  
الشعبية التي تألف الألفاظ اللينة ، وتتسجم مع الأساليب السهلة  
التي لا يحار الفكر في فهمها .  
وفي النقد التهكمي هو أكثر إجادة في سبك معانيه وتخير  
الفاظه اللينة وتراكيبه السهلة التي تتناسب مع أفهام عامة



الشعب ، وهو أكثر براعة في ستر مشاعره الساخطة بغطاء  
رقيق من التندر والسخرية ، ففي قوم حكم عليهم بأن تحلق  
نصف لحية كل منهم نراه يقول<sup>(١)</sup> :

ثُمَّ قَالُوا عَنْ ذُقُونِ حُلِقْتُ

قُلْتُ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تُخْلَفَا

إِنَّ حَقَّ الذَّقْنِ خَيْرٌ لِلْفَتَى

يَا بَنِي الْأَعْمَامِ مِنْ أَنْ تُنْتَفَا

وَالَّذِي حَلَقَ أَنْصَافَ اللَّحَى

كَانَ فِي الْأَحْكَامِ عَدْلًا مُنْصِفَا

حَلَقَ النِّصْفَ بِذَنْبِ حَاضِرٍ

وَعَفَا بِالنِّصْفِ عَمَّا سَلَفَا

لقد رصد البوصيري الحدث ، وراح يتهم من جور  
ذلك الحاكم ، فجعل حلق اللحية خيرا من نتفها ، وكأنه بذلك  
يشير إلى ما كان يتوقع من مثل ذلك الحاكم ، ثم جعل حلق  
النصف خيراً من حلقها كلها ، وكأنه يومئ إلى تتكيل الحاكم  
بهم ، وجعلهم مادة للسخرية والضحك ، وفي تبريره لفعله ذلك  
الحاكم لم يخف البوصيري سخطه وسخريته من فعلته ، إذ

---

(١) الديوان ، ١٧٥ .



جعل حلق النصف دليلاً على عدم الإفراط في العقوبة ، وإبقاء  
النصف الآخر دليلاً على العفو والتسامح !!

أما من حيث بناء القصيدة ، فقد لاحظنا عزوف  
البوصيري عن مجازاة القدماء في السير على عمود القصيدة  
العربية ، فالمقدمة الطللية بمكوناتها - الوقوف على الطلل  
وذكر المحبوبة ووصف الرحلة - تكاد تختفي في الكثير من  
قصائده ، وقد لاحظ البوصيري ذلك فبرره أحياناً بمثل قوله<sup>(١)</sup> :

مَدَحُ النَّبِيِّ أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

فَامْدَحُهُ مُرْتَجِلاً أَوْ غَيْرَ مُرْتَجِ

وَلَا تُشَبِّبْ بِأَوْطَانٍ وَلَا دِمْنٍ

وَلَا تُعَرِّجْ عَلَى رَبْعٍ وَلَا طَلَلٍ

---

(١) الديوان ، ص ٢٣٣ . ومن مبررات البوصيري في التخلي عن النسب  
نذكر أيضاً قوله :

إِذَا امْتَدَحْتَ نَسِيباً مِنْ سُلَالَتِهِ

فَهُوَ النَّسِيبُ لِمَدْحِي سَيِّدِ الرُّسُلِ

وقوله :

مَالِي وَلِلْغُشَّاقِ أَتْبَعُ مِنْهُمْ

أَمَّا تَضِلُّ عَنِ الرَّشَادِ مَظْلَلَةً

الديوان ، ص ٢٣٤ .



## وَصِفْ جَمَالَ حَبِيبِ اللَّهِ مُتَفَرِّدًا

### بِوصْفِهِ فَهُوَ خَيْرُ الْوَصْفِ وَالْغَزْلِ

وما دمنّا بصدّد الحديث عن ابتداءات قصائد البوصيري، فإنه تجدر الإشارة إلى حسن ابتداءات قصائده ، حيث تشهد له الكثير من تلك القصائد بجودة المطلع وبراعة الاستهلال<sup>(١)</sup>، حتّى ليُخَيَّلَ لي أنّه أخذ بقول ابن رشيق : "فإن الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يُجَوِّدَ ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"<sup>(٢)</sup> . وقد أشاد السابقون ببعض تلك الابتداءات ، من ذلك - مثلاً - قول السيوطي<sup>(٣)</sup> : "ومن سبر شعره علم مزيته ، وما أحسن قوله في افتتاح ديوانه :

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ

بَغَضَاءَ مَا بَيْتِي وَبَيْنَ الْخُرْدِ"<sup>(٤)</sup>

---

(١) انظر أمثلة ذلك في : الديوان ، ص ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٣ .

(٢) القيرواني ، الحسن بن رشيق (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م) : العمدة في صناعة

الشعر ونقده ، ط. أمين هندية ، القاهرة ١٩٢٥ م، ج ١، ص ١٤٥ .

(٣) الأدب في العصر المملوكي ٢٦٦/١ .

(٤) البيت مطلع قصيدة يمدح فيها أبا العباس المرسى . انظر : الديوان، ١١٧ .



أما المقرئ فقد دلل على جودة ابتداءات البوصيري  
بحديثه عن اكتفاء ممدوح البوصيري بقوله في مطلع القصيدة :  
عَمَّرْتُ مَدْرَسَةً وَمَارَسَتَانَا

### لِتَصَحَّحِ الْأَدْيَانَ وَالْأَبْدَانَا

حيث قال : " .. فقال له - أي الممدوح - حسبك في هذا كفاية .  
ولم يسمع تنمة القصيدة استحساناً للبيت ، وظل يومه كله ينشده  
ويترنم به ، وأجزل جائزته ، وهي كلها - أي القصيدة -  
طنانة .. " (١) .

وكما وُفِّقَ البوصيري باختيار مطالع قصائده ، فإنه قد  
أدهشنا بمقدرته الفائقة على الانتقال من النسب إلى المدح (٢)  
حتى لا نكاد نشعر أنه انتقل إلى موضوع آخر ، حيث تمتزج

---

(١) الديوان ، ص ٢٨٩ .

(٢) ويسمى ذلك البلاغيون حسن الخروج ، وبراعة التخلص ، وفي تبين مزيته  
قال ابن أبي الأصبع : "وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز ،  
وهو دقيق في عين الغبي خفي يخفى على غير الحذاق من ذوى النقد ،  
وهو مثبت في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره .. " .

- ابن أبي الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـ) :  
تحرير التعبير ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، ط. القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ،  
ص ٤٣٣ .



معاني النسيب بمعاني المدح بلطف ومهارة ، ومن أمثلة حسن الخروج قوله (١) :

وَلَأُبْكِينَ عَلَى زَمَانٍ فَاتَتِي  
مِنْكُمْ بَعِثَتِي عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ  
وَلَأَهْدِينَ إِلَى الْوَزِيرِ وَآلِهِ  
دُرَّ الْمَدَائِحِ فِي أَجَلٍ نِظَامٍ  
وقوله (٢) :

حَقٌّ مَنْ كَانَ لَهُ حُبٌّ سَلِمَ  
شُغْلًا أَنْ يَسْتَلْذَ الْعَذَابَا  
وَلِمَنْ يَمْدَحُ خَيْرَ الْبَرَائَا

أَنْ يَرِ الْفَقْرَ طَاءَ حَسَابَا

ونتهي الحديث عن خصائص شعر البوصيري بتتبع أثر البيئة في شعره ، وتبين أهم ما يميزه في هذا الجانب ، ونبدأ بالحديث عن أثر البيئة الزمانية . فقد عاش البوصيري في عصر الصراع العقائدي والحروب الدينية ، وقد تجلّى أثر ذلك الصراع في معاني وموضوعات شعره ، ففي قصيدته "المخرج والمردود" ناقش التزييف والتحريف الذي أصاب العقيدة

---

(١) انظر : - تحرير التعبير ، ص ٤٣٣ - الديوان ، ص ٢٥٠ .

(٢) الديوان ، ٧٨ .



المسيحية ، ودحض مزاعم النصارى وأثبت فساد اعتقادهم .  
وفي قصائده الكثيرة التي تنتقد مستخدمي الدولة ، بين انحراف  
سلوك النصارى وسوء خلقهم ، وفي مدائحه النبوية قابل كل ما  
سبق بتمجيد العقيدة الإسلامية والإشادة بفضائل النبي صلى الله  
عليه وسلم وأمجاده ، هذا بالإضافة إلى ما يلاحظ من انتشار  
المعاني الدينية في معظم قصائده ، فإذا امتدح أميراً فإنه يمتدحه  
بتقواه ومواقفه الشجاعة في التصدي لأعداء الدين والأمة<sup>(١)</sup> ،  
وإذا مدح صديقاً فإنه يمتدحه لصلاحه وتقواه ، وأمثلة ذلك  
كثيرة في شعره<sup>(٢)</sup> .

أما البيئة المكانية فقد تركت بعض بصماتها على صور  
وتشبيهات البوصيري ، ومن نافلة القول أن البوصيري - الذي  
لم يبرح مصر إلا للحج - تنقل في أرجاء القطر المصري ،  
ففي الإسكندرية اقترب من البحر واطلع على فنون الصيد  
وأدواته ، وفي الشرقية شاهد الريف المصري واطلع على حياة  
الفلاحين ، وفي القاهرة شاهد النيل بقناطره وجسوره ، كما  
شاهد الأهرام وغيرها من المعالم المصرية ، وقد انعكست كل

---

(١) وقد ورد الكثير من الأمثلة فيما قدمناه عن شاعرية البوصيري ، راجع مثلاً

ما قاله في مدح السلطان قلاوون .

(٢) انظر مثلاً : الديوان ، ٢٥٣ .



هذه المعالم على صفحات شعره . فمن ذلك - مثلا - قوله في تشبيه ثقل همومه<sup>(١)</sup> :

أَصْبَحْتُ مِنْ حَمَلِي هُمُومُهُمْ عَلَى

هَرَمِي كَأَنِّي حَامِلُ الْأَهْرَامِ

ومنه تشبيه سوء خلق بطانة الممدوح بالدلو الذي لا يتقرب من البئر إلا حين يكون خاليا من الماء<sup>(٢)</sup> :

يَصْدُ عَنْكَ إِذَا اسْتَقَى بِجَانِبِهِ

وَلَا يَزُورُكَ إِلَّا حِينَ يَفْتَقِرُ

كَأَنَّهُ الدَّلْوُ يَطْوِي حِينَ تَمْلُؤُهُ

مَاءً وَيُفْرِغُ مَا فِيهِ فَيَنْحَدِرُ

وفي تصوير قصور همة الذي يغازع الشعر تبدو بعض ملامح البيئة البحرية بحيواناتها المائية ، من ذلك ما نراه في قوله<sup>(٣)</sup> :

وَشِعْرِي بَحْرٌ لَا يُوَافِقُهُ ضِفْدَعٌ

وَلَا يَقْطَعُ الرَّعَادُ يَوْمًا لَهُ لُجَا

---

(١) الديوان ، ص ٢٥٥ ، وفي البيت جناس بين كلمتي : هرمي والأهرام .

(٢) الديوان ، ص ١٤١ .

(٣) الديوان ، ص ٢٧٧ ، وفي كلمة "الرعد" تورية ، فهي اسم لنوع من

السمك ، وهي اسم المهجو ، وهو الشاعر زين الدين الرعاد .



وفي تصوير مقدرته الشعرية نرى أيضاً بعض ملامح تلك البيئة<sup>(١)</sup> :

لَنْ يَصِيدَهُنَّ النَّوَالُ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي

أَوْ يُصْطَادُ الدَّرُّ بِالسَّنَارِ ؟

ومن صور البيئة المصرية في شعر البوصيري نورد هذه الأبيات التي تبين اهتمام ممدوحه بالزراعة والمزارعين ، حيث حفر الترع ، وأقام الجسور على النيل ، وعدل في توزيع المياه على الأراضي الزراعية ، هذا ما يتضح في قوله<sup>(٢)</sup> :

وَأَقْبَلْتَ تَحِي الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا

وَفِي الْجُودِ مَا يُحْيِي الْمَوَاتَ وَيَنْشُرُ

فَأَخْرَجْتَ مَرْعَاهَا وَأَجْرَيْتَ مَاءَهَا

غَدَاةَ بَحَارِ الْأَرْضِ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

وَلَوْلَاكَ مَا رَاعَتْ يُحُوراً تَرَاعُهَا

وَلَا كَانَ مِنْ جِسْرِ عَلَى الْمَاءِ يُجْسِرُ

فَهَا هِيَ تَحْكِي جَنَّةَ الْخُلْدِ نَزْهَةً

وَمِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارُهَا تَتَفَجَّرُ

---

(١) الديوان ، ص ١٣٣ ، والضمير في يصيدهن يعود على القوافي .

(٢) السابق ، ١٦١ .



وَأُعْطِيتَ سُلْطَانًا عَلَى الْمَاءِ عَالِيًا  
بِهِ يَزْخَرُ الْبَحْرُ الْخِضَمُ وَيُسْجَرُ  
فِيَا صَالِحًا فِي قِسْمَةِ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ  
وَلَا نَاقَةَ فِي أَرْضِهِمْ لَكَ تُعْقَرُ  
فَهَذَا لَهُ وَقْتُ وَحْدٍ مُعَيَّنٍ  
وَهَذَا لَهُ حَدٌّ وَوَقْتُ مُقَدَّرٍ

ويبدو أثر الثقافة التي كانت منتشرة في تلك البيئة واضحا في شعر البوصيري ، فولوع الشعراء في عصره بالزركشة اللفظية<sup>(١)</sup> ، والمحسنات البديعية نرى الكثير من شواهد فيما سبق ذكره من ألوان شعر البوصيري<sup>(٢)</sup> ، ومباهاة الشعراء بمعارفهم العروضية والنحوية نرى صداها في مثل قوله<sup>(٣)</sup> :

سَيِّدِي لَا تَخَفْ عَلَى خُرُوجِي

فِي خُرُوجِي فَقِطْنَتِي مَوْزُونَةً

---

(١) لم نلاحظ اهتمام البوصيري - كبعض شعراء عصره - بالأشكال الشعرية المستحدثة ، كالتشجير ، أو الألغاز ، أو سونات القوافي .. وغيرها ، وكل ما وجدناه هو قصيدة محبوكة الطرفين ، وفيها التزم أيضا بذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم في مطلع كل شطر من أبياتها .

- انظر : القصيدة المحمدية . الديوان ، ص ٢٧٤ .

(٢) وقد أشرنا إلى بعض نماذج ذلك في ذيل بعض الصفحات .

(٣) الديوان ، ٢٧٧ .



كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتُ فِيهِ اخْتَبِرْتَنِي  
لَا تُكَذِّبُ فَإِنِّي يَقْطِئُهُ

وفي قوله (١) :

خَفَضْتُ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ  
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ (٢)

واستخدامه للمصطلحات الدينية ، وتضمنياته من القرآن  
الكريم والأحاديث النبوية الشريفة أكثر من أن تحصى ، وهذا  
أمر طبيعي عندما يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ورسالته ، وسيرته الشريفة ، ومن استخدامهم لمصطلحات علم  
الحديث ما نراه في قوله (٣) :

لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَفْرُطٌ وَمَفْرُطٌ  
بِالْحَقِّ تَجْرِيحاً وَلَا تَعْدِيلاً (٤)

---

(١) الديوان ، ٢٤٥ .

(٢) بالإضافة إلى مقامك ، والرفع : الارتفاع ، وفيه تورية برفع الإعراب عند  
النحاة .

(٣) الديوان ، ١٧٦ .

(٤) مفرط : مبالغ ، مجاوز للحد - مفرط : مقصر ، وفرط في الشيء ضيعة  
وقدم العجز فيه . وبين مفرط ومفرط جناس ناقص ، وفي معناهما طباق .



وفي ضرب الرمل وقراءة الطالع التي أشار أكثر من  
شاعر إلى انتشارها في تلك البيئة قال البوصيري<sup>(١)</sup> :  
وللهفي ولغت بالضرب في الرَّمْ—

—ل لأحظى بأسعد الأشكال

وقال في الدعاء لممدوحه<sup>(٢)</sup> :

لَا زِلْتَ طَوَّلَ الدَّهْرِ تَحْكِي فِي الْعَلَا

أَبَاءَكَ الْغُرَّ الْكَرَامَ الشُّوسَا

مَا دَامَ يَتَّبِعُ النُّجُومَ مُنْجَمٌ

وَيُخْبِرُ التَّثْلِيثَ وَالتَّسْدِيسَا

~~~~~

---

(١) الديوان ، ٢٣٧ .

(٢) السابق ، ١٧٣ .



ملحق :

## قصيدة البردة

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِذِي سَلَمٍ  
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ<sup>(١)</sup>  
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ  
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِصْمٍ  
فَمَا لِعَيْتِيكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَّتَا  
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهْمٍ  
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُتَكَتِّمٌ  
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ سَنَةٍ وَمُضْطَرِمٍ<sup>(٢)</sup>  
لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ  
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ<sup>(٣)</sup>

(١) ذو سلم : موقع بالحجاز .

(٢) المنسجم صفة الدمع السائل ، والمضطرم صفة القلب المشتعل بالحب .

(٣) البان : جمع بانة وهو ضرب من الشجر ، العلم : جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبان ،  
فيه نخل وفيه واد .



فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ  
 بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ  
 وَأَثَبْتَ الْوَجْدَ خَطِيءَ عِبْرَةٍ وَضَنِي  
 مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ<sup>(١)</sup>  
 نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرْقَنِي  
 وَالْخُبُّ يُعْطِرُ الْذَاتِ بِالْأَلَمِ  
 يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي مَعْذَرَةٌ  
 مِنِّْي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ  
 عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتَرٍ  
 عَنْ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْخَسِمِ<sup>(٢)</sup>  
 مَحْضَتْنِي النَّصِيحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ  
 إِنَّ الْمُحِبَّ عَنْ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ<sup>(٣)</sup>  
 إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَفَلٍ  
 وَالشَّيْبُ أَيْضًا فِي نَصِيحٍ عَنِ التُّهَمِ  
 فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَلَّتْ  
 مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ<sup>(٤)</sup>

(١) البهار : ورد أصفر . العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة .

(٢) عدتك : تجاوزتك . منسجم : منقطع .

(٣) محضتني النصيح : أخلصته .

(٤) الأمارة بالسوء هي النفس .



وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى  
 ضَيْفِ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ  
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ  
 كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ<sup>(١)</sup>  
 مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايِئِهَا  
 كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجْمِ  
 فَلَا تَرْمِ بِالْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتِهَا  
 إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ  
 وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهَمَّلَتْ شَبَّ عَلَى  
 حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفَطَّمَتْ يَنْفَطِمِ  
 فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّقَهُ  
 إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمِ  
 وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ  
 وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ<sup>(٢)</sup>  
 كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ الْمَرْءِ قَاتِلَةً  
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

(١) فِي الْبَيْتِ جِنَاسٌ نَاقِصٌ بَيْنَ : كَتَمْتُ وَبِالْكَتَمِ ، وَالْأَوَّلَى بِمَعْنَى أَخْفَى ، وَالثَّانِيَةُ اسْمُ نَبَاتٍ يَخْضِبُ بِهِ كَالْحَنَاءِ .

(٢) السُّومُ : الرِّعَى فِي الْعُشْبِ الْمُبَاحِ .



وَآخِشَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ  
 فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٍّ مِنَ التُّخْمِ  
 وَاسْتَفْرَغَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ  
 مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ حَمِيَّةَ النَّدَمِ  
 وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيَهُمَا  
 وَإِنْ هُمَا مَخَضَاكَ النَّصِيحَ فَاتَّهِمِ  
 وَلَا تَطْعُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا  
 فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكْمِ  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ  
 لَقَدْ نَسِيتُ بِهِ نَسْلًا لِيذِي عُقْمِ  
 أَمْرُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا انْتَمَرْتُ بِهِ  
 وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ  
 وَلَا تَزَوِّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً  
 وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصُصِمِ  
 ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى  
 أَنْ اشْتَكَيْتُ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمِ  
 وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى  
 تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتَرْفِئَ الْأَدَمِ



وَرَأَوْدَتُهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ  
 عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمٍ  
 وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ  
 إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ  
 وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مَنْ  
 لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ  
 مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ  
 وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ  
 نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدَ  
 أَبْرَ فِي قَوْلٍ (لَا) مِنْهُ وَلَا (نَعَمْ)  
 هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ  
 لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمٍ  
 دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ  
 مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُتَفَصِّمٍ  
 فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ  
 وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ  
 وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسُ  
 غَرْفٍ مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفٍ مِنَ الدِّيمِ



وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حُدُودِهِمْ  
مِنْ نَقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ  
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ  
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيَّ النَّسَمِ<sup>(١)</sup>  
مَنْزَرَةً عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ  
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ شَيْءٌ مُنْقَسِمٌ  
دَعَا مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ  
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكُمْ  
وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ  
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ  
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ  
حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ  
لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا  
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّهْمِ  
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَغَيَّا الْعُقُولُ بِهِ  
حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ<sup>(٢)</sup>

(١) النسم : وهي جمع نسمة ، وهي الإنسان .

(٢) لم نهم : لم نضل .



أَعْيَا الْوَرَى فَهَمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى  
فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُتَفَحِمٍ  
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ  
صَغِيرَةٍ وَتَكُلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ  
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ  
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلُّوا عَنْهُ بِالْحُلُمِ  
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ  
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
وَكُلُّ آيٍ آتَى الرُّسُلَ الْكَرَامَ بِهَا  
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ  
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلِ هُمْ كَوَاكِبُهَا  
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلِّ  
أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٍ  
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٍ  
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرْفٍ  
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالْدَّهْرِ فِي هِمَمٍ  
كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ  
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ



كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ  
مِنْ مَعْدِنِي مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمٍ  
لَا طِيبَ يَغْدِلُ تَرْبَا ضَمَّ أَعْظَمَهُ  
طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمٍ<sup>(١)</sup>  
أَبَانَ مَوْلِدَهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ  
يَا طِيبَ مُبْتَدِئٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٍ  
يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ  
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنَّقَمِ  
وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ  
كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَثِمٍ  
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ  
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَكَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا  
وَرَدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ  
حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

(١) طوبى من الطيب قلبوا الياء واوا لضمه ما قبلها ، والمنتشق : من يشمه ، والملتثم : من يقبله .

(٢) ساهي : ساكن ، السدم : الحزن .

(٣) ساوة : مدينة في بلاد فارس بين همدان والري .



وَالْجِنُّ تَهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ  
 وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ  
 عَمُوا وَصَمُّوا فَبِإِعْلَانِ الْبَشَائِرِ لَمْ  
 تَسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنذَارِ لَمْ تُشْمِ<sup>(١)</sup>  
 مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنَهُمْ  
 بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمَعْجُجُ لَمْ يَقُمْ  
 وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأُفُقِ مِنْ شُهْبٍ  
 مُنْقِضَةٍ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ  
 حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ  
 مِنْ الشَّيَاطِينِ يَقْقُو إِثْرَ مُنْهَزِمٍ  
 كَانَتْهُمْ هَرَبًا أَبْطَالَ أَبْرَهَةَ  
 أَوْ عَسْكَرًا بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رَمَى  
 نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطَنِهِمَا  
 نَبَذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُنْتَقِمٍ  
 جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً  
 تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلا قَدَمٍ  
 كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لَمَّا كَتَبَتْ  
 فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

(١) تشم : تنظر .



مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ  
 تَقِيهِ حَرًّا وَطَيْسَ لِلْهَجِيرِ حَمِي  
 أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُتَشَقِّ أَنْ لَهُ  
 مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةٌ مَبْرُورَةٌ الْقَسَمِ  
 وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ  
 وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي  
 فَالْصَّدَقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرِمَا  
 وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ <sup>(١)</sup>  
 ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى  
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ  
 وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ  
 مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطَمِ <sup>(٢)</sup>  
 مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ  
 إِلَّا وَتَلَّتْ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ  
 وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ  
 إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

(١) لم يرما : لم يبرحا . وأرم على وزن كتف : العلم والآخر .

(٢) الأطم : الحصون .



لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ  
 قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمْ <sup>(١)</sup>  
 وَذَٰكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ  
 فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَلَمٌ <sup>(٢)</sup>  
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ  
 وَلَا نَبِيٍّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمٍ  
 كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِيْبًا بِاللُّمْسِ رَاحَتُهُ  
 وَأَطْلَقَتْ أَرْبَا مِنْ رَبْقَةِ اللَّمَمِ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ  
 حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصَرِ الدُّهْمِ <sup>(٤)</sup>  
 بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خَلَّتِ الْبِطَاحُ بِهَا  
 سَيِّبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرَمِ <sup>(٥)</sup>  
 دَعَنِي وَوَصَفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ  
 ظُهُورُ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ

(١) يقول : إن رؤيا النبي في المنام هي وحي من عند الله .

(٢) المحتلم الذي يرى الحلم في النوم ، فحلم النبي كما يقول وحي لا ينكر .

(٣) الوصب : المريض . والأرب : المحتاج . والريقة أصلها الحبل . واللمم : الجنون .

(٤) السنة الشهباء : المجدبة .

(٥) البطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل الماء . والسيب : الجرى . العرم : الوادي .



فَالِدَرْ يُزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ  
 وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ  
 فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ الْمَدِيحِ إِلَى  
 مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ  
 آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ  
 قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ (١)  
 لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا  
 عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمٍ  
 دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ  
 مِنَ النَّبِيِّينَ إِذَا جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ  
 مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِيَنَّ مِنْ شَبَهٍ  
 لَذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْقِيَنَّ مِنْ حِكْمٍ  
 مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ  
 أَحَدُ الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ  
 رَدَّتْ بِلَاغَتَهَا دَعْوَى مُعَارِضَتِهَا  
 رَدَّ الْغُيُورِ يَدَ الْجَائِي عَنِ الْحَرَمِ  
 لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ  
 وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

(١) محدثة : إنزالها محدث .



فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا  
وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ  
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ  
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ  
إِنْ تَتْلَاهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى  
أَطْفَأَتْ نَارَ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشَّيْمِ  
كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُ الْوَجُوهَ بِهِ  
مِنْ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاعَوْهُ كَالْحُمَمِ  
وَكَالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً  
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ  
لَا تَعْجَبَنَّ لِحَسُودٍ رَاحَ يَنْكُرُهَا  
تَجَاهِلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَادِقِ الْفَهْمِ  
قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ  
وَيَنْكُرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ  
يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ  
سَعْيًا وَفَوْقَ مَتُونِ الْأَيْتُقِ الرَّسْمِ (١)  
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ  
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

(١) العافون : طلاب الرزق . والأيتق : النياق . والرسم : التي ترسم الأرض : أي تعلمها .



سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ  
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاغٍ مِنَ الظُّلُمِ  
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً  
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ  
وَقَدَّمْتَكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا  
وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ  
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ  
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ  
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقِ  
مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَتِمٍ<sup>(١)</sup>  
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ  
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ<sup>(٢)</sup>  
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتَرٍ  
عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ  
فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ  
وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمِ

(١) المستتم : طالب الرفعة إلى السنام ، وهو أعلى شيء .

(٢) بالإضافة إلى مقامك . والرفع الارتفاع وفيه تورية برفع الإعراب عند النجاة .



وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وَلَّيْتَ مِنْ رُتَبٍ  
وَعَزَّ إِدْرَاكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ  
بُشْرَى لَنَا مَعِشَرِ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا  
مِنْ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ  
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لَطَاعَتِهِ  
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ  
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بَعْثَتِهِ  
كَنْبَاءُ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْغَنَمِ  
مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ  
حَتَّى حَكُوا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضْمٍ<sup>(١)</sup>  
وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ  
أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّحْمِ  
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتَهَا  
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ  
كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْقٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ  
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرْمٍ<sup>(٢)</sup>

(١) الوضْم : كل خشبة يقطع عليها اللحم .

(٢) القرم : السيد . والقرم : بالتحريك شدة الشهوة إلى اللحم .



يَجْرُ بِحَرِّ خَمَيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ  
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُنْتَظِمٍ<sup>(١)</sup>  
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ  
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلِمٍ<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ  
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةٌ الرَّحِمِ  
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ  
وَحَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَيْمِ<sup>(٣)</sup>  
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ  
مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدِمٍ  
وَسَلَّ حَنِينًا وَسَلَّ بَذْرًا وَسَلَّ أَحَدًا  
فُصُولُ حَنْفٍ لِهَيْئَةِ الْأَذَى مِنَ الْوَحْمِ<sup>(٤)</sup>  
الْمُصْدِرِي الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ  
مِنْ الْعَدَا كُلِّ مَسْنُودٍ مِنَ اللَّمَمِ<sup>(٥)</sup>

(١) السابحة : الخيل .

(٢) المنتدب : المجيب .

(٣) التايم : فقدان الزوج .

(٤) الوحمة : البواء .

(٥) اللمم : جمع لمة ، وهي الشعر إذا جاوز الأذن .



وَالكَاتِبِينَ بِسُومِ الْخَطِّ مَا تَرَكْتَ  
 أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمٍ  
 شَاكِيَ السَّلَاحِ لَهُمْ سِيَمَى تُمَيِّزُهُمْ  
 وَالْوَرْدُ يَمْتَّازُ بِالسِّيَمَى عَنِ السَّلَمِ<sup>(١)</sup>  
 تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَّاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ  
 فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَمِي  
 كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبَتْ رُبَا  
 مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ<sup>(٢)</sup>  
 طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَا  
 فَمَا تَفَرَّقُ بَيْنَ الْبِهِمِ وَالْبِهِمِ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ  
 إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجِمُ  
 وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ  
 بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمٍ<sup>(٤)</sup>  
 أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ  
 كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

(١) السيمى : العلامة . والسلم : نوع من الشجر .

(٢) الحزم : قوة الثبات . والحزم جمع حزام : وهي ما يشد به سرج الفرس ونحوها .

(٣) البهم جمع بهمة : وهي السخلة . والبهم جمع بهمة ، وهي الشجاع .

(٤) المنقصم : المنقطع .



كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ  
 فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ <sup>(١)</sup>  
 كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً  
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَتَمِ  
 خَدَمْتُهُ بِمَدِيحِ أَسْتَقِيلُ بِهِ  
 ذُنُوبَ عُمَرِ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخَدَمِ  
 إِذْ قَلَّدَانِي مَا تَخْشَى عَوَاقِبُهُ  
 كَأَنِّي بِهِمَا هَدَى مِنَ النِّعَمِ  
 أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا  
 حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ  
 فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا  
 لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ  
 وَمَنْ يَبِيعُ أَجْلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ  
 يَبِينُ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ <sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ  
 مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرَمٍ

<sup>(١)</sup> جدل : صرع . والجدالة : الأرض . والجدل : كثير الجدل . خصمة غلبة . والخصم : شديد الخصومة .

<sup>(٢)</sup> السلم في البيع هو البيع المؤجل الدفع .



فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي  
مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْقَى الْخَلْقِ بِالذِّمِّ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا بِيَدِي  
فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ  
حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ  
أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ  
وَمَنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ  
وَجَدْتُ لَهُ لَخْلَاصِي خَيْرَ مَكْنَزِمٍ  
وَلَنْ يَفُوتَ الْغَنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ  
إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ  
يَدًا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمٍ  
يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مِنْ أَلُوذٍ بِهِ  
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي  
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ<sup>(٣)</sup>

(١) تربت : افتقرت . والأكم جمع أكمة : وهي الربوة .

(٢) الحادث العمم : يوم القيامة ، لأن هوله يعم الخلق .

(٣) تحلى : اتصف . والمنتقم : من أسماء الله .



فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا  
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ (١)  
يَا نَفْسُ لَا تَقْتَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ  
إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ  
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا  
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعَصِيَانِ فِي الْقِسْمِ  
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ  
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ (٢)  
وَالطُّفَ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ  
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمُ  
وَأُذِّنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ  
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمٍ (٣)  
مَا رَنَحَتْ غَذَيَاتِ الْبَانَ رِيحُ صَبَا  
وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّغَمِ (٤)

(١) ضرة الدنيا : هي الآخرة .

(٢) المنخرم : المنقطع .

(٣) المنهل : السائل بشدة . والمنسجم : السائل بهدوء ورفق .

(٤) رنحت : أمالت . وغذيات البان : أخصاته . والعيس : الإبل البيض .



## المصادر والمراجع

- ابن أبى الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـ) : تحرير التحرير ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، ط. القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
- ابن العماد ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، طبعة القاهرة ١٣٥١ هـ .
- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٧٢ .
- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، مطبعة المعارف ، بيروت .
- أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ط. الثانية ، دار نهضة مصر .
- البوصيري (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م) : الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ديوان أحمد شوقي ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .



- سلام ، محمد زغلول : الأدب في العصر المملوكي ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٩ م) : حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٠١ هـ .
- السيوطي ، حسن المحاضرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- القيرواني ، الحسن بن رشيق (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م) : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ط. أمين هندية ، القاهرة ١٩٢٥ م .
- الكتبي ، محمد بن أحمد (ت ٤٦٧ هـ / ١٣٦٢ م) : فوات الوفيات ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .
- مبارك ، زكي : المدائح النبوية في الأدب العربي ، طبعة دار الشعب ، مصر ، ١٩٧١ م .
- نبيل أبو علي : الأدب المملوكي والعثماني ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الوحدة ، رام الله ١٩٨٤ م .



## الفهرس

| الموضوع                       | الصفحة |
|-------------------------------|--------|
| أما قبل                       | ٥      |
| تعريف                         | ٧      |
| شاعرية البوصيري               | ١٥     |
| - المدائح النبوية             | ١٥     |
| - تفنيد مزاعم اليهود والنصارى | ٣٣     |
| - النقد الاجتماعي             | ٤٣     |
| - المدح                       | ٥٠     |
| - الوصف                       | ٦٣     |
| - الغزل                       | ٧١     |
| - الدعابة والسخرية            | ٧٤     |
| - الرثاء                      | ٧٦     |
| خصائص شعره                    | ٧٨     |
| ملحق "قصيدة البردة"           | ٩٣     |
| المصادر والمراجع              | ١١٣    |



## المؤلف في سطور

- أستاذ الألب والنقد في الجامعة الإسلامية بغزة
- نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني .
- تقلب في العديد من المناصب العلمية والإدارية منذ عمله في الجامعة الإسلامية عام ١٩٨٢م ، منها :
- عميد البحث العلمي ٩٧/٨/٢٠ - ١٩٩٩/٨/٢٠م .
- عميد الدراسات العليا والبحث العلمي ٩٣/٩/١٢ - ١٩٩٧/٨/٢٠م .
- عميد كلية الآداب ٨٩/١٢/١٤ - ١٩٩٣/٩/١٢م .
- عميد شئون الطلبة ٨٥/٥/٦ - ١٩٨٧/٣/٢٤م .
- رئيس قسم اللغة العربية ٨٣/٥/١٦ - ١٩٨٩/١٢/١٤م .
- نشر العديد من المقالات والبحوث في الصحف والمجلات الأكاديمية المختصة ، المحلية والعربية .
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأشرف على الكثير من بحوث الماجستير والدكتوراه .
- صدر له العديد من الكتب ، منها :
- في مرآة الثقافة الفلسطينية ، المقداد للطباعة ، غزة ٢٠٠٤م .
- في نقد الألب الفلسطيني ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ٢٠٠١م .
- شاعرات عصر الإسلام الأول - دراسة نقدية ، الطبعة الثانية ، دار الحرم للتراث ، القاهرة ٢٠٠١م .
- نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩٩م .
- عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ١٩٩٩م .
- نقد النثر في تراث العرب النقدي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٩٣م .
- محاضرات في الألب المملوكي ، مطبعة الوحدة ، رام الله ١٩٨٤م .
- مختارات من الشعر الجاهلي ، مطبعة دنديس ، الخليل ١٩٨٣م .